تأليف:

د. مصطفى أحمد قنبر

صَفَحاتٌ في سِيَرِ اللُّغَوِيينَ والنُحَاةِ

رقم التسجيل : VR.33809.B

الطبعة الأولى : 2019

د. مصطفى أحمد قنبر

صَفَحاتٌ في سِيَرِ اللُّغَوِيينَ والنُحَاةِ

Pages in the biographies of linguists and grammarians

Germany:
Berlin 10315
Gensinger.Str: 112
http:// democraticac.doc

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

المركز الديموقراطي العربي
Democratic Arab Center
Strategic, Political & Economic studies

صَفَحاتٌ
في
سِيَرِ اللُّغَوِيِينَ والنُحَاةِ

العنوان بالإنجليزية.

Pages in the Biographies of Linguists and Grammarians

تأليف: د. مصطفى أحمد قنبر

اللجنة الفنية والمراجعة

- ✓ المصطفى بوجعبوط، المركز الديمقراطي العربي. برلين_ألمانيا
- ✓ كريمة الصديقي، المركز الديمقراطي العربي. برلين_ألمانيا
- ✓ زيار حاميد، المركز الديمقراطي العربي. برلين_ألمانيا
- ✓ خالد علي عبود الحفاجي، المركز الديمقراطي العربي. برلين_ألمانيا

طبعة الأولى

2019

رئيس المركز:أ. عمار شرعان

المؤلف: د. مصطفى أحمد قنبر

عنوان المؤلف: صَفحاتٌ في سِيَرِ اللُّغَويينَ والنُحاةِ

رقم تسجيل الكتاب: VR . 33809. B

عدد صفحات الكتاب: 192 صفحة

الطبعة : الأولى 2019

الناشر:

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

برلين _ألمانيا

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو اي جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر .

جميع حقوق الطبع محفوظة: للمركز الديمقراطي العربي

برلين- ألمانيا.

All rights reserved No part of this book may by reproducted. Stored in a retrieval System or tansmited in any form or by any meas without prior Permission in writing of the publishe

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية

:Germany

Berlin 10315 GensingerStr: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

mobiltelefon : 00491742783717

E-mail: book@democraticac.de

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)﴾

سورة العنكبوت

الإهداء

إِلَى كُلِّ مُحِبٍّ وَعاشِقِ لِسِيَر العُلَمَاء

توطئة

أحمد الله رب العالمين، الذي شرَّف العربية أن جعلها وعاءً لكتابه الخالد؛ فسَمت على أخواتها من ألسن البشر، وكتب لها الخلود إذ تعهد جل في علاه بحفظ القرآن فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾ سورة الحجر. والصلاة والسلام على أشرف وأفصح من نطق بالضاد، فكان بيانه معجزًا، ومنطقه بيّنًا، وصمته فصاحةً، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فهذه صفحات في سير ساداتنا من أئمة اللغة والنحو العربي الذين قيَّضهم الله لحفظ لغة كتابه المعجز من الضياع والاندثار. كانت قد راودتني فكرة الكتابة عنهم منذ عدة سنين، فوفقني الله لذلك، وكانت البداية في شكل مقالات يومية متفرقة على مدى عامين في شهر الله الفضيل رمضان في صحيفتين من الصحف اليومية، ثم ببعض المقالات الأكثر تفصيلا وعمقًا في بعض المجلات الشهرية والدورية. وأحسب أن المتابعين لهذه المقالات تلقَّوْها بالقبول، وطلب مني البعض أن أضمَّ هذه المقالات في كتاب يجمعها، وبطبيعة الحال أن يكون العرض أكثر تنظيمًا وترتيبًا وعمقًا مما كان عليه في المقالات التي كانت محكومة بمساحة محددة، وبعدد معين من الكلمات حتى تنجوَ من قلم الشطب في الإخراج الصحفي؛ فاستعنت بالله جل وعلا؛ فكانت هذه الصفحات.

وقد كان اهتمامي بسير الأعلام في اللغة والنحو منذ ثلاثة عقود تقريبا، حين وقعت عيناي لأول مرة على كتاب (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للإمام النحرير والعلامة الجهبذ جلال الدين السيوطي طيب الله ثراه، ومن يومها والكتاب لا يفارقني إذ كثيرًا ما أفزع إليه؛ لأعيش في سير هؤلاء الذين أعطوا العلم كل عنايتهم، وترفعوا عن كل ما عداه، فدانت لهم الدنيا بكل زخرفها، وطرق أبوابهم الحكام والمريدون، فقابلوا كلاً بما يستحق. وشيدوا إذَّاك حضارة سطعت شمسها على الدنيا بأسرها، وفتحت ذراعيها لكل شغوف بالعلم ومنهوم بالبحث والدرس.

وقد يسأل البعض: وما الجديد الذي يضيفه هذا الكتاب لما سبق أنْ سطره أصحاب التراجم والسير عن هؤلاء الأعلام؟ أقول: إن هذه الصفات حاولت أن تضمَّ في جنباتها ما تفرق من السير في كتب التراجم والسير والأخبار... وغيرها، فضلا عما سطَّره المحدثون من الباحثين الذين تناول كثيرا من هذه السير في مؤلفات متخصصة تناولت واحدًا من مؤلفاتهم، أو ركزت على ملمح من ملامح شخصياتهم العلمية وعرضت له بالتحليل والتمحيص. هذا فضلا عن بعض التنظيم في العرض بوضع عناوين جانبية.

وسيجد القارئ الكريم أني لم أتَّبع منهجًا صارمًا ومحددًا في هذه الصفحات، ومن ثم فقد يجد صفحات متتاليات عند تناول سيرة أحد الأعلام، خاصة منْ أثيرت حولهم شبهات حاول أصحابها القدح في

شخصياتهم والنيل من مكانتهم العلمية؛ إذ تصديت لهذه الشبهات ـ ليس كمن يرى البعض تجاهلها إلى أن يطويها النسيان ـ وقدمت من الحجج ما يفند هذه المزاعم ويدحض هذه المفتريات. وقد يجد سيرة علَم آخر لا تتجاوز الصفحة بل قد تقل، ومرد ذلك إلى مدى توافر المادة العلمية التي وجدتها تحدِّث عن هؤلاء في مصادرها. ولم أتغاضَ عن إيراد أخبار أو طُرف أو نوادر تخللت مسيرة هؤلاء الأعلام، خاصة ما كان يميزهم من غيرهم. لكن الإطار العام الذي يحكم التناول في هذا الكتاب هو التعريف بنسب الشيخ، وبيان أساتذته وتلاميذه، ورحلاته، وتصنيفاته العلمية وتاريخ وفاتــه.

أما عن المصادر والمراجع التي أفدت منها في هذه الصفحات، فتكاد تكون واحدة عند كل شخصية، وتجنبًا لتكرارها آثرت أن أكتفي بإدراجها في الثبت النهائي في آخر صفحات الكتاب، وجل هذه المصادر بطبيعة الحال كان قديمًا، وقليل منها ينتسب إلى بحوث ومؤلفات حديثة.

والله أسأل أن يتغمد برحمته هؤلاء الأعلام الذين حفظوا لنا هذه اللغة، وأن يوفقنا للسير على دربهم في الطلب والعطاء، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه ولِّي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)﴾ يونس.

1. الأَخْفَشُ الأوسط

من أكابر أئمة النحويين البصريين وأشهرهم، وهو أحذق أصحاب سيبويه وأعلمهم، الْمُجَاشِعِي الراوية أبو الحسن سعيد بن مَسعدة مولى بني مجاشع بن دارم.

والمقصود بالأخفش: الصغير العينين مع سوء بصرهما، ويُطلق على جمَاعَة كلهم نحاة: الْأَكْبَر اسْمه عبد الحميد والأوسط اسْمه سعيد والأصغر عَليّ بن سُلَيْمَان، والأخفش الْأَلْهَانِي اسْمه أَحْمد بن عمرَان، والأخفش المغربي عبد الْعَزِيز بن أَحْمد الأندلسي، والأخفش الدِّمَشْقِي هَارُون بن مُوسَى، والأخفش عَليّ بن مُحَمَّد النَّحْوِيّ، والأخفش الدِّمَشْقِي الصَّغِير اسْمه مُحَمَّد بن خَلِيل.

مكانته العلمية:

كان الأخفش أسنَ من سيبويه، وقيل: الطريقُ إلى كتاب سيبويه الأخفشُ؛ وذلك أن كتاب سيبويه لا يُعلم أحدٌ قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه، ولكنه لما مات سيبويه قرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش.

حكى ثعلب أن الفراء دخل على سعيد بن سلم فقال: قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية، فقال الفراء: أما ما دام الأخفش يعيش فلا.

وقد روي عن الأخفش قوله: جاءنا الكسائي إلى البصرة فسألني أن أقرأ عليه أو أقرئه كتاب سيبويه، ففعلت فوجه إليَّ خمسين دينارًا، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني.

وكان أبو العباس ثعلب يفضل الأخفش ويقول: كان أوسع الناس علمًا ورِوَايَة وَأول من أمْلى غَرِيب كل بَيت تَحْتَهُ، وَكَانَ قبله تُفسر القصيدة بعد فراغها، وله كتب كثيرة في النحو والعروض والقوافي، وله في كل فن منها مذاهب مشهورة، وأقوال مذكورة عند علماء العربية.

يروى عَن الْأَخْفَش أَنه قَالَ: لما جرى بَين سِيبَوَيْهٍ وَالْكسَائِيّ مَا جرى بِحَضْرَة البرامكة رَحل سِيبَوَيْهٍ عَن بَغْدَاد، يُرِيد الأهواز، فَلَمَّا وصل إِلَى ظَاهر الْبَصْرَة وجَّه إليَّ فَجِئْته، فعرَّفني خَبره مَعَ البغداديين، وَمَا جرى من التعصب عَلَيْهِ، وودَّعني وَمضى إِلَى الأهواز، فأصلحت حَالي، وقصدت إِلَى بَغْدَاد، ثمَّ إِنِّي وافيت مَسْجِد الْكسَائي، فَصليت خَلفه صَلَاة الْفجْر، فَلَمَّا فرغ وانتقل من محرابه، قعد بَين يَدَيْهِ الْفراء والأحمر وَهِشَام وَابْن سَعْدَان الضَّرِير، فسلَّمت عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم، ثمَّ ألقيت مائَة مَسْأَلَة عَلَيْهِ، فَلم يصبْ فِي مَسْأَلَة وَاحِدَة، فَقَالَ: بِاللَّه أَنْت الْأَخْفَش أَبُو الْحسن سعيد؟ فَقلت: نعم، فعانقني، وَقَالَ لي: أَوْلَادِي أولى بك، أُحبُّ أَن يتأدبوا بأدبك، وَتَكون غير مفارق لي، فأجبته إِلَى ذَلِك، فَلَمَّا اتَّصَلت الْأَيَّام، سَأَلَني أَن أؤلف كتابًا فِي الْقُرْآن، فَعمِلت كتابي، وَجَعَلته إِمَامًا، وَعمل هُوَ بعد ذَلِك كِتَابه فِي الْقُرْآن.

مصنفاته:

ترك الأخفش مجموعة من الكتب المصنفة منها كتاب " الأوسط" في النحو، وكتاب "تفسير معاني القرآن"، وكتاب "المقاييس" في النحو، وكتاب "الاشتقاق"، وكتاب "العروض"، وكتاب "القوافي"، وكتاب "معاني الشعر"، وكتاب "الملوك"، وكتاب "الأصوات"، وكتاب " المسائل" الكبير، وكتاب "المسائل" الصغير، وغير ذلك، فضلا عن أنه هو الذي زاد في العروض بحر المتدارك.

وفاتـه:

توفي ـ يرحمه الله ـ سنة خمس عشرَة وَمِائَتَيْنِ من الهجرة.

2. أبو الْأسود الدؤَلِي

فقيه من فقهاء العربية الأوائل، شهد له كثير من اللغويين والنحاة بالريادة في هذا الفن من التأليف، فهو أول من نقط المصاحف وأسس العربية، ونهج سُبُلَها، ووضع قياسها؛ وذلك حين اضطرب كلام العرب، وصار سَراة الناس ووجوههم يلحنون.

إنه أَبُو الأَسودِ ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يَعمر بن حُلَيْس بن نُفاثة بن عدي بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الدُّؤَلِيُّ من أهل البصرة.

أساتذتـه:

لم تذكر المصادر التي ترجمت له شيئا عن أساتذته والعلوم التي تلقاها إلا ما أورده الزبيدي في الطبقات، قال: قال أبو العباس محمد

بن يزيد: سئل أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيتُه من عليّ بن أبي طالبٍ رحمه الله، وفي حديث آخر قال: ألقى إليَّ عليٌّ أصولًا احتذيتُ عليها.

نقط المصاحف:

ذكر التنوخي في كتابه (تاريخ العلماء النحويين) قصة أبي الأسود الدؤلي مع النقط قائلا: لَمَّا ولي زِيَاد الْعرَاق بعث إِلَيْهِ، يَقُول لَهُ: اعْمَلْ شَيْئا تكون فِيهِ إِمَامًا، تُعرب بِهِ كتاب الله تَعَالَى، وَينْتَفع النَّاس بِهِ، فاستعفاه من ذَلِك، حَتَّى سمع قَارِئًا يقْرَأ: (إِنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِه)، فَقَالَ: مَا ظَنَنْت أَمر النَّاس صَار إِلَى هَذَا، فَرجع إِلَى زِيَاد، فَقَالَ: أَنا أفعل مَا أَمر بِهِ الْأَمِير، فليتبعني كَاتبا لقنًا يفعل مَا أَقُول، فأُتي بكاتب من عبد الْقَيْس، فَلم يرضه، فأُتي بآخر. قَالَ الْمبرد: أَحْسبهُ مِنْهُم . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأسود: إِذا رَأَيْتنِي قد فتحت فمي بالحرف فانقط فَوْقه نقطة، وَإِذا رَأَيْتنِي قد ضممت فمي فانقط نقطة بَين يَدي الْحَرْف، وَإِن كسرت فَاجْعَلْ النقطة تَحت الْحَرْف، فَإِن اتبعتُ شَيْئا من ذَلِك غُنَّةً فَاجْعَلْ مَكَان النقطة نقطتين، فَهَذِهِ نقطة أبي الْأسود.

قصة الدؤلي مع النحو العربي:

وصلت روايات عدة عن سبب وضع أبي الأسود أبوابًا في النحو العربي، منها:

1ـ ما ذكره ابن أبي سعد، عن عمر بن شبَّة، عن أبي بكر بن عيَّاش، عن عاصم بن أبي النَّجود قال: أولُ مَن وضع العربية أبو

الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة، فقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم، أَفتأذنُ لي أن أضع للعرب كلامًا يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، فجاء رجل إلى زياد، فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: تُوفي أبانا وترك بنون!! ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي كنتُ نهيتُك أن تضع لهم.

2ـ رُوي أن ابنته قعدت معه في يوم قائظٍ شديد الحرِّ، فأرادت التعجب من شدة الحر فقالت: (ما أشدُّ الحرِّ)! فقال أبوها: القيظ، وهو ما نحن فيه يا بنية، جوابًا عن كلامها لأنه استفهام، فتحيَّرت وظهر لها خطؤها، فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب، فقال لها: قولي يا بنية: ما أشدَّ الحرَّ! فعمل باب التعجب، وباب الفاعل، والمفعول به.

وفاتـه:

تُوفِّي أبو الأسود سنة تسع وستين في طاعون الجارف، وهو ابن خمس وثمانين سنة بعد أن قدَّم للعربية أعمالا جليلة سجلت اسمه في أسفار فقهاء العربية.

3ـ الأشموني

ما إن يذكر الأشموني في الدراسات اللغوية إلا ويُذكر الشغف بالعلم والتفرغ له، والعمق في التناول والتفنن في العرض خاصة في تصنيفه المعروف بـ (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، الذي لا غنى

لباحث في العربية ونحوها عنه. كيف لا؟ وقد حصل الشيخ من معارف عصره ما فارق به أقرانه.

المولد والنشأة:

إنه الإمام العلامة المحقق والفقيه والمتكلم والنحوي عَليّ بن مُحَمَّد بن عِيسَى بن يُوسُف بن مُحَمَّد النُّور أَبُو الْحسن بن الشَّمْس بن الشّرف الأشموني الأَصْل ثمَّ القاهري الشَّافِعِي وَيعرف بالأشموني. ولد فِي شعْبَان سنة ثَمَان وَثَلَاثِينَ وَثَمَانمِائَة وَنَشَأ فحفظ الْقُرْآن، وَجمع الْجَوَامِع، وألفية النَّحْو، أخذ الْفِقْه عَن المجلي وَالْعلم البُلْقِينِيّ والمناوي، وَكَذَا أَخذ فِي الْأَصْلَيْنِ والعربية والفرائض، وَمن شُيُوخه الكافياجي والحصني، وقد تميز وبرع فِي الْفَضَائِل وتصدى للإقراء من سنة أَربع وَسِتِّينَ، ولعلمه وتمكنه في الفقه وغيره ولي قضاء دمياط.

تصانيفه:

عُرف الشيخ باشتغاله بالعلم مع التقشف في مأكله وملبسه ومفرشه لا همَّ له إلا العلم والطاعة، فبرع في جميع العلوم وكان نتاج ذلك مجموعة من التآليف الجليلة في النحو والمنطق والفقه وغيره، منها: حاشية على الأنوار لعمل الأبرار للإردبيلي في فروع الفقه الشافعي، ومنهج السالك إلى ألفية ابن مالك، ومنهاج الدين في شعب الإيمان، والينبوع في شرح المجموع في فروع الفقه.

ما انماز به شرح الأشموني للألفية:

يُعد شرح الأشموني لألفية ابن مالك من أغزر شروح الألفية مادةً على كثرتها واختلاف مشاربها، بل إنه من أوفى كتب النحو جمعًا لمذاهب النحاة وتعليلاتهم وشواهدهم على نمط البسط والتفصيل، ولا غرابة أن يجمع في شرحه ما جمع، فأمامه من شروح الألفية: شرح ابن الناظم، والمرادي، وابن عقيل، والشاطبي، والتوضيح وغيرها، ومن شروح الكافية شرح الناظم وغيره، ومن شروح التسهيل المرادي وغيره، وأمامه المغني، وهذا كله عدا كتب السابقين.

شرح الأشموني في آثار العلماء:

وقد اعتني كثير من العلماء بشرح الأشموني على الألفية، ومن هؤلاء: أحمد بن الفقي (1118هـ) وكتابه (حاشية على شرح الاشموني)، وللحجري (1199 هـ) حاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، وليوسف بن سالم بن أحمد الحفني (1176هـ) حاشية على الأشموني، أما العلامة الصَّبَّان (1206 هـ) فله كتاب (حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية)، ثم الشيخ علي النجار (1351 هـ) وكتابه (شرح شواهد الأشموني). وكذلك عبد السلام بن عبد الرحمن السلطاني الجزائري له شرح بنفس الوسم.

وفاتـه:

توفي ـ يرحمه الله ـ سنة تسعمائة من الهجرة، بعد أن سُجل اسمه في سفر أئمة العربية وعلمائها.

4. الأصمعي

راوية العرب، وبحر اللغة، وأحد أئمة العلم باللغة والغريب والأخبار والشعر والبلدان والملح والنوادر، إنه عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي.

من أهل البصرة، وبها تعلم على الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء، وأخذ عن خلف بن الأحمر، وكان كثير التطواف في البوادي فحفظ لغة البدو، وقدم بغداد في أيام الرشيد فعهد إليه بتعليم الأمين، وكان يسميه بشيطان الشعر.

مكانته العلمية:

قال الشافعي: "ما عبّر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعي"، وقال الأخفش: "ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعي"، وكان الأصمعي يقول: "أحفظ ست عشرة ألف أرجوزة".

كان الأصمعي مِن أَرْوَى الناس للرجز، فزعموا أنه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة، فقيل له: أفيها شيء هو بيت أو بيتان؟ فقال: فيها المائة والمائتان.

وكان من أوثق الناس في اللغة، وأسرع الناس جوابًا، وأحضر الناس ذِهنًا، قال المبرِّد: كَانَ الأصمعيّ بحرًا في اللّغة لَا نعرف مثله فيها، وقال ابن الأَعْرابيّ: شهِدت الأصمعيَّ وقد أنشد نحو مائتي بيت، ما فيها

بيتٌ عَرَفْناه. وقال أبو علي: وكان ثقةً عند أصحاب الحديث أيضًا، وكان إمام زمانه في علم اللّسان.

مَنْ رَوَى عنهم:

رَوَى الأصمعي عَنْ: أبي عَمْرو بن العلاء، وقُرَّةَ بن خالد، ومِسْعَر بن كِدَام، وابن عَوْن، ونافع بن أبي نُعَيم، وسليمان التَّيْميّ، وشُعْبة، وبكار بن عبد العزيز بن أبي بَكْرَة، وحمّاد بن سَلَمَةَ، وَسَلَمَةَ بن بلال، وعمر بن أبي زائدة.

تلاميذه ومن رووا عنه:

روى عَنْهُ علماء كُثر منهم: أبو عبيد، ويحيى بن مَعِين، وإسحاق المَوْصِليّ، وزكريا بن يحيى المِنْقَريّ، وَسَلَمَةُ بن عاصم، وعُمر بن شَبَّة، وعبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب ابن أخي الأصمعيّ، وأبو حاتم السّجَسْتانيّ، وأبو الفضل الرّياشّي، ونصر بن عليّ الْجَهْضميّ، وأبو العَيْناء، وأبو مسلم الكجّيّ، وأحمد بن عُبَيْد أبو عَصِيدة، وبِشْر بن مُوسى، وأبو حاتم الرازيّ، ومحمد بن يونس الكُدَيْميّ.

تصانيفه:

ترك الأصمعيّ للمكتبة العربية تصانيف كثيرة منها: كتاب "خلق الإنسان"، و"المقصور والممدود"، و"الأجناس"، و"الأنواء"، و"الصفات"، و"الهمز"، و"الخيل "، و"الفرق"، و"القِداح"، و"المَيْسِر"، و"خلْق الفَرَس"، و"كتاب الإبِل"، و"الشاء"، و"الوحوش"، و"الأخبية"،

"البيوت"، و"فَعَل وأفْعَلَ"، و"الأمثال"، و"الأضداد"، و"الألفاظ"، و"السلاح"، و"اللُّغات"، و"مياه العرب"، و"النوادر"، و"أصول الكلام"، و"القلب والإبدال"، و"مَعاني الشِّعر"، و"المصادر"، و"الأراجيز"، و"النَّخْلة"، و"النّبات"، و"ما اختلف لفْظُهُ واتفق معناه"، و"غريب الحديث"، و"السَّرْج واللِّجام"، و"التّرْس والنِّبال"، و"الكلام الوحشيّ"، و"المذكَّر والمؤنَّث"، و"نوادر الأعراب"، وغير ذَلكَ من الكُتُب، وأكثر تصانيفه مختصرات.

من مأثوراتـه:

قَالَ أَبُو دَاوُدَ السِّنْجِيُّ: سَمِعْتُ الأَصْمَعِيَّ يَقُولُ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ أَنْ يَدْخُلَ فِي جُمْلَةِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"؛ لأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَلْحَنُ، فَمَهْمَا رَوَيْتَ عَنْهُ وَلَحَنْتَ فِيهِ كَذَبْتَ عَلَـيْهِ.

ورُوى عنه أنه قال: يُقال: قَرَبٌ بَصْباص، وحَذْحَاذ، وحَثْحاث، وحَتْحاتٌ، وجُلْدِيّ، ومُصْعَرٌ، ومُصْعَنْفِرٌ، وفَسْفَاس، إذا كان شديدًا في معنى واحد.

وفاتـه:

توفي الأصمعيُّ ـ يرحمه الله ـ سنة ستّ عشرة ومائتين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة في صفر، بعد أن ترك لنا إثرًا عظيمًا سطر اسمه في سجل أئمة اللغة وعلمائها.

5. ابن الأنباري

الحَافِظُ اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ المُقْرِئُ، ذُو الفنُوْنِ، أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين وأكثرهم حفظًا للغة، الإِمَامُ أبو بكر محمد بن القاسم بشار الأنباري النحوي.

أخلاقـه:

قَالَ حَمْزَةُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ طَاهِر: كَانَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ زَاهِدًا مُتَوَاضِعًا، حَكَى الدَّارَقُطْنِيّ أَنَّهُ حَضَرَه، فَصحَّف (أي حرّفه عن وضعه) فِي اسْمٍ، قَالَ: فَأَعْظَمْتُ أَنْ يُحمل عَنْهُ وَهُمٌ، وَهِبْتُهُ، فَعَرَّفْتُ مُسْتَمْلِيْهِ، فَلَمَّا حَضَرْتُ الجُمُعَة الأُخْرَى، قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيّ لِمُسْتَمْلِيْهِ: عَرِّفِ الجَمَاعَةَ أَنَّا صحَّفنَا الاسْمَ الفُلاَنِيَّ، وَنَبَّهنَا عَلَيْهِ ذَلِكَ الشَّابُّ عَلَى الصَّوَاب.

مصنفاته:

ألف ابن الأنباري كتبًا كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو، منها: كِتَابُ "الوَقْفِ وَالابتدَاء"، وَكِتَابُ "المُشْكل"، وكِتَابُ "غَرِيْب الغَرِيْب النبوِي"، وَكِتَابُ "شَرْح المفضَّلِيَّات"، وَكِتَابُ "شَرْحُ السَّبْعِ الطِّوَال"، وَكِتَابُ "الزَّاهر"، وَكِتَابُ "الكَافي" فِي النَّحْوِ، وَكِتَابُ "اللاَّمَاتِ"، وَكِتَابُ "شَرْحِ الكَافي"، وَكِتَابُ "الهَاءات"، وَكِتَابُ "الأَضْدَادِ"، وَكِتَابُ "المذكَّر وَالمُؤنث"، وَكِتَابُ "رسَالَة المُشْكِلِ" يَرُدُّ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ، وَأَبِي حَاتِمٍ، وَكِتَابُ "الرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالف مُصْحَفَ عُثْمَان بِأَخْبَرَنَا وَحَدَّثَنَا" يقضِي بِأَنَّهُ حَافِظٌ لِلْحَدِيْثِ.

وَقِيْلَ: إِنَّ ابْنَ الأَنْبَارِيِّ أَمْلَى "غَرِيْبَ الحَدِيْث" فِي خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِيْنَ أَلف وَرقَة، فَإِنْ صَحَّ هَذَا، فَهَذَا الكتَابُ يَكُوْن أَزيدَ مِنْ مائَةِ مُجَلَّد، وَكِتَاب "شَرْحِ الكَافي" لَهُ ثَلاَثُ مُجَلَّدَات كِبَار، وَلَهُ كِتَاب "الجَاهِلِيَات" فِي سَبْعمائَة وَرقَة.

مكانته العلمية:

قال أبو علي بن القاسم: كان أبو بكر الأنباري يحفظ ثلثمائة ألف بيت شاهد في القرآن، وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ التَّمِيْمِيُّ: مَا رأَينَا أَحَدًا أَحْفَظَ مِن ابْنِ الأَنْبَارِيِّ، وَلا أَغزرَ مِنْ عِلْمه، وقال حمزة الدقاق: كان أبو بكر الأنباري يملي كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والأخبار والتفاسير والأشعار؛ كل ذلك من حفظه.

وقال أحمد بن يوسف الأصبهاني: رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فقلت: يا رسول الله، عمن آخذ علم القرآن؟ فقال: عن أبي بكر الأنباري.

حرصه على العلم:

يحكى أنه مر يومًا في النخاسين، وجارية تُعرض، حسنةَ الصورة، كاملةَ الوصف؛ قال: فوقعت في قلبي، ثم مضيت إلى دار أمير المؤمنين الراضي بالله تعالى، فقال: أين كنت إلى الساعة؟ فعرَّفته، فأمر فأُشتريتْ وحُملت إلى منزلي ولم أعلم، فجئت فوجدتها، فعلمت كيف جرى الأمر، فقلت لها: كوني فوق إلى أن أستبرئك . وكنت أطلب مسألة

قد اختلت عليَّ ـ فاشتغل قلبي، فقلت للخادم: خذها وامضِ بها إلى النخاس، فليس يبلغ قدرها أن يشغل قلبي عن علمي.

فأخذها الغلام، فقالت: دعني حتى أكلمه بحرفين، فقالت: أنت رجل لك محلٌ وعقلٌ، فإذا أخرجتني ولم تبين لي ذنبي، لم آمن من أن يُظن الناس في ظناً قبيحًا، فعرفنِيه قبل أن تخرجني، فقلت: مالك عندي عيب، غير أنك شغلتني عن علمي، فقالت: هذا سهل عندي، قال: فبُلِّغ الراضي بأمره، فقال: لا ينبغي أن يكون العلمُ في قلب أحد أحلى منه في قلب هذا الرجل.

أساتذتــه:

سَمِعَ فِي صِباهُ بَاعتنَاءِ أَبِيْهِ مِنْ: مُحَمَّدِ بنِ يُوْنُسَ الكُدَيْمِيّ، وَإِسْمَاعِيْل القَاضِي، وَأَحْمَدَ بنِ الهَيْثَمِ البَزَّاز، وَأَبِي العَبَّاسِ ثَعْلَبٍ، وَخَلْقٍ كَثِيْرٍ، وَحمل عَنْ وَالدِه وكان مُحَدِّثاً أَخْبَارِيّاً عَلاَّمَةً مِنْ أَئِمَةِ الأَدَبِ.

من أخذوا عنه:

حدَّث عنه: أبو عمر بن حيويه، وأحمد بنُ نَصْرٍ الشَّذَائِيُّ، وَعَبْدُ الوَاحِدِ بنُ أَبِي هَاشِمٍ، وَأَبُو الحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيّ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الله ابن أَخِي مِيمِي الدَّقَّاقِ، وَأَحْمَد بنُ مُحَمَّدِ بنُ الجَرَّاح، وَأَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الكَاتِبُ، وَآخَرُوْنَ.

وفاتــه:

توفي . يرحمه الله . بِبَغْدَادَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ عَنْ سَبْعٍ وَخَمْسِيْنَ سَنَةً.

6. البَطَلْيَوْسيُّ

إمام في اللغة والآداب، سابق مبرز، مصنفاته دالة على رسوخه واتساعه ونفوذه وامتداد باعه، إنه العَلاَّمَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ السَّيِّد البَطَلْيَوْسِيُّ النَّحْوِيّ، اللُّغَوِيّ، نسبة إلى مدينة بطليوس التي كان فيها مولده سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

مكانته العلمية:

كان عالماً بالآداب واللغات متبحرًا فيهما مقدمًا في معرفتهما وإتقانهما، محققًا في فنون الأدب، وكان ثقة مأمونًا على ما قيد وروى ونقل وضبط، سكن مدينة بلنسية، وكان الناس يجتمعون إليه ويقرأون عليه ويقتبسون منه، وكان حسن التعليم جيد التفهيم ثقة ضابطًا.

سبب طلبة العلم:

حُكِي عنه أنه قال: كان سبب طلبي للعلم أن والدي كان رجلا من أهل القرى، وكان له ثروة، فسلّم إليّ مالا لأدخل به إلى الحاضرة للتجارة، فدخلت إلى قرطبة فاتفق أني اجتزت في السوق فوجدت حلقة تباع فيها الكتب، فوقفت عليها، واستحسنت الكتب، وشريت

منها بمقدار مائتي دينار للتجارة، فلما خلوت بها جعلت أفتقدها وأقول: هذا جيد لا ينبغي أن يباع، وهذا جيد إلى أن اخترت لنفسي أكثرها، ثم جعلت أطالعها فلا أفهم معانيها، فيضيق صدري، فسألت بعض الطلبة، وقلت له: أي العلوم أنفق؟ فقال: الناس في الأدب أرغب منهم في غيره، قلت له: وأيّ الكتب أشهر من كتب الأدب؟ فقال: كتاب العين، فشرعت فيه على شيخ هناك، فلم تمض لي شهور حتى حفظته، ثم حفظت كتابا في النحو.

ولذّ لي العلم، فلم تمض إلا مدة قليلة حتى صرت ممن يشار إليه، فاشتقت إلى أهلي بعد أن أنفقت جميع ما كان معي، فخرجت إليهم واجتمعت بوالدي، فسألني عن الحال، فأخبرته بقصتي، فلم ينكره عليّ بل سرّه، وقال: يا ولدي، هذه نعمة من الله في حقك حيث ألهمك بالعلم، وأمدني بشيء آخر من المال، ورجعت إلى المدينة، وطلبت المشايخ حتى بلغت إلى ما ترون.

مصنفاتــه:

ألف البطليوسي كتبًا كثيرة منها: كتاب "المثلث" أتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع عظيم، وكتاب "الاقتضاب في شرح أدب الكتَّاب"، وشرَح "سقط الزند" لأبي العلاء المعري شرحًا استوفى فيه المقاصد، وله كتاب في الحروف الخمسة، وهي: السين والصاد والضاد والطاء والذال، جمع فيه كل غريب، وله كتاب "

الحلل في شرح أبيات الجمل"، و"الخلل في أغاليط الجمل"، وكتاب "التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة"، وكتاب "شرح الموطأ".

وفاتـه:

كانت وفاته ـ يرحمه الله ـ في رجب في عام إحدى وعشرين وخمسمائة.

7. البارع البغدادي

الإِمَامُ النَّحْوِيُّ، شَيْخُ القُرَّاءِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ ابنُ الوَزِيْرِ القَاسِمُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ سُلَيْمَانَ الحَارِثِيُّ، البَغْدَادِيّ، ابْن الدَّباس الشَّاعِر، المُلَقَّب بِالبَارِع، وُلِدَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائة في بغداد.

مقرئٌ مجودٌ شاعرٌ، محسنٌ فاضلٌ أديبٌ مِنْ بَيْت حِشْمَة وَوِزَارَة، إذ إنَّ جدّه القاسم بن عبيد الله كان وزير المعتضد والمكتفي بعده، وعبيد الله بن القاسم كان وزير المعتضد أيضا قبل ابنه القاسم.

أساتذتـه:

تَلاَ البارع بِالرِّوَايَات عَلَى أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ الخَيَّاط، وَأَبِي عَلِيّ بنِ البَنَّاء، وَيُوْسُفَ الغُورِي، وَأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ اللِّحيَانِي، وَأَبِي الخَطَّابِ الصُّوْفِيّ، وَالحُسَيْن بن الحَسَنِ الإِسكَاف، وَمُحَمَّد بن مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ البصِيْر، وَسَمِعَ مِنَ الحَسَنِ بنِ غَالِبٍ، وَأَبِي جَعْفَرٍ بن المُسْلِمَة، وَالقَاضِي أَبِي يَعْلَى، وَأَبِي الحُسَيْنِ بن النَّرْسِيّ، وَعبدِ الوَاحِد بن بُرْهَان الأَسَدِيّ، وَعِدَّة.

تلاميذه:

وقد تتلمذ وقرَأَ عَلَيْهِ خلقٌ، مِنْهُم: أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللهِ بن أَحْمَدَ الوَاسِطِيّ الضّرِير، وَعَلِيُّ بنُ عَسَاكِرَ البَطَائِحِي، وَأَبُو العَلاَءِ الهَمَذَانِيّ، وَنَصْرُ اللهِ ابْن الكيَال، وَيَعْقُوْبُ بنُ يُوْسُفَ الحَرْبِيّ، وَالحُسَيْنُ بن عَلِيّ بنِ مُهجِل البَاقَدْرَائِي، وَعوضٌ المَرَاتِيّ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ خَالِدِ بنِ بختيَار، وَأَبُو المُظَفَّرِ أَحْمَدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ حمْدي، وَآخَرُوْنَ.

وحَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو القَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَأَبُو بَكْرٍ بنُ البَاقِلاَّنِيّ الوَاسِطِيّ، وَأَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيّ، وَأَبُو الفَتْح المَنْدَائِيّ، وَإِبْرَاهِيْم بن حَمدِيَّة.

مكانته العلمية:

بَرَعَ الشيخ في اللُّغَات وَالنَّحْوِ، وَمَدَحَ الْمُقْتَدِي، وَالمُسْتظهِرَ، وَعِدَّة وُزرَاء وَكُبَرَاءَ، وَدَخَلَ خُرَاسَانَ وَاليَمَنَ وَالشَّامَ، ثم زهد وتاب في أخريات حياته، وَلَزِمَ مَسْجده بِبَابِ المَرَاتِب، وَتَكَاثر عَلَيْهِ المُقْرِئونَ وَالمُحَدِّثُونَ وَالنُّحَاة، وكان حسن المعرفة بصنوف الآداب فاضلا.

مصنفاته:

للبارع مصنفات حسان في القراءات وغيرها، وله ديوان شعر جيد، وقد جمع له الشيخ أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد المقرئ سبط أبي منصور الخياط طرقًا لقراءاته وأسانيد رواياته في كتاب سماه (الشمس المنيرة في القراءات الشهيرة)، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له أسماء مصنفاته

رغم أنها أشارت لوجود مصنفات له، باستثناء ديوان شعره.

وفاتــه:

كانت وفاته ـ يرحمه الله ـ صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

8. التبريزيُّ

إِمَامُ اللُّغَة، الحجة الصدوقُ الثبتُ، أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بنُ عَلِيّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَسَنِ بنِ بِسْطَامَ الشَّيْبَانِيّ، الخَطِيْبُ، التبرِيزِيُّ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ، وأحد الأئمة في النحو واللغة والأدب، كانت ولادة الشيخ سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، أصله من تبريز، ونشأ ببغداد، ورحل منها طلبًا للعلم والأخذ عن العلماء.

أساتذتــه:

رحل الشيخ إلى أبي العلاء المعري وأخذ عنه وعن عبيد الله بن علي الرقي، والحسن بن رجاء بن الدهان اللغوي، وابن برهان، والمفضل القصباني، وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من الأئمة.

وسمع الحديث وكتبه على خلق، منهم: القاضي أبو الطيب الطبري، وأبو القاسم التنوخي، والخطيب البغدادي، وسمع بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي، ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادي، وأبي القاسم عبد الله بن علي.

تلاميذه:

ممن أخذ عن الشيخ: أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري، وأبو الفضل ابن ناصر وغيرهم. كما روى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب "تاريخ بغداد" وغيرهم من الأعيان، وتخرج عليه خلق كثير وتتلمذوا له، ودخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي وغيره من أهل اللغة.

مكانته العلمية:

للشيخ مكانه علمية مرموقة فقد ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب " الذيل"، وكتاب "الأنساب" وعدد فضائله، ثم قال: ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله، ورعى له اجتهاده في طلب العلم.

وقد تصدّر في بغداد، ودرس الأدب بالمدرسة النظامية فيها، وروى بها عنه الجمّ الغفير، وتأدّب به عالم كثير.

مصنفاتـه:

صنف الرجل مصنفات في فنون كثيرة، منها: "شرح الحماسة"، وكتاب "شرح ديوان المتنبي"، وكتاب "شرح سقط الزند" وهو ديوان أبي العلاء المعري، و"شرح المعلقات السبع"، و"شرح المفضليات"، وله "تهذيب غريب الحديث"، و"تهذيب إصلاح المنطق"، وله كتاب "الكافي في علم العروض والقوافي"، وكتاب في إعراب القرآن سماه "الملخص"،

وشروحه لكتاب الحماسة ثلاثة: أكبر وأوسط وأصغر، وله غير ذلك من التواليف.

حرصه ودقته العلمية:

كان سبب توجه التبريزي إلى أبي العلاء المعري أنه حصلت له نسخة من كتاب " التهذيب " في اللغة، تأليف أبي منصور الأزهري في عدة مجلدات، وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة، فدُلَّ على المعري، فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة، ولم يكن له ما يستأجر به مركوبًا، فنفذ العرق من ظهره إليها فأثَّر فيها البلل، وهي ببعض الوقوف ببغداد، وإذ رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة، وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور.

وفاتـه:

توفي ـ يرحمه الله ـ فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد، ودفن في مقبرة باب أبرز، وَلَهُ إِحْدَى وَثَمَانُوْنَ سنة.

9. الثَّعَالبي

صَاحب التصانيف الأديبة، وجاحظ زَمَانه، الأديب الشَّاعِر واللغوي عبد الْملك بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل أَبُو مَنْصُور الثعالبي النَّيْسَابُورِي، ولد سنة خمسين وثلاثمائة. والثعالبي: بفتح الثاء المثلثة

والعين المهملة، هذه النسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، قيل له ذلك، لأنه كان فراءً.

مكانته العلمية:

قال ابن بسام صاحب "الذخيرة" في حقه: كان في وقته راعي تَلَعَات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم قرانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب، وتواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر راوٍ لها وجامع، من أن يستوفيها حد أو وصف، أو يوفيها حقوقها نظم أو رصف.

وقال الطيب الباخرزي في (دمية القصر وعصرة أهل العصر) عنه: جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدّهور، لم ترَ العيون مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله، وكيف ينكر، وهو المزن يحمد بكلّ لسان؟ أو كيف يستر وهو الشمس، لا تخفى بكلّ مكان؟ وكنت أنا بعد فرخًا أزغب في الاستضاءة بنوره أرغب، وكان هو ووالدي رحمة الله عليهما بنيسابور لصيقي دار، وقريبي جوار، فكم حملت كتبا تدور بينهما في الإخوانيات! وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات، وما زال بي رؤوفا عليّ حانيًا، حتى ظننته أبًا ثانيًا، رحمة الله عليه، كلّ صباح تخفق رايات أنواره، ومساء تتلاطم أمواج قاره.

مصنفاتـه:

من تصانيفه: الْمُبْهِج، وَفقه اللُّغَة، وَكتاب ثمار الْقُلُوب، وَكتاب الْأَعْدَاد، ومدح الشَّيْء وذمه، وَكتاب الْمُضَاف والمنسوب، وَكتاب الشَّمْس، وَكتاب حل العقد، وَكتاب مرْآة الْمُرُوءَة، وَكتاب أحسن مَا سَمِعت، وَكتاب أحاسن المحاسن، وَكتاب أَجنَاس التَّجْنِيس، وَكتاب الظرائف واللطائف، وَكتاب السياسة، وَكتاب الثَّلج والمطر، وَكتاب سحر البلاغة، وَكتاب الاقتباس، وَكتاب سجع الْمَنْصُور، وَكتاب اللمع الغضة، وَكتاب تفضل المقتدرين وتنصل المعتذرين، وَكتاب يَوَاقِيت الْمَوَاقِيت، وَكتاب التحسين والتقبيح، وَكتاب خَاص الْخَاص، وَكتاب الإعجاز والإيجاز، وَكتاب أنس الْمُسَافِر، وَكتاب عُيُون النَّوَادِر، وَكتاب الْكِنَايَة والتعريض، وَكتاب أَفْرَاد الْمعَانِي، وَكتاب الْمُتَشَابه لفظًا وخطًا، وَكتاب النَّوَادِر والبوادر، وَكتاب الأنيس فِي غرر التَّجْنِيس، وَكتاب الْمُنْتَحل، وَكتاب سر الْبَيَان، وَكتاب سر الْأَدَب فِي مجاري كَلَام الْعَرَب، وَكتاب الأحاسن من بَدَائِع البلغاء، وَكتاب منادمة الْمُلُوك، وَكتاب عنوان المعارف، وَكتاب الطّرف من شعر البستي، وَكتاب صَنْعَة الشّعْر والنثر، وَكتاب سر الوزارة، وكتاب الْأَمْثَال والتشبيهات، وَكتاب مِفْتَاح الفصاحة، وَكتاب لباب الأحاسن، وَكتاب لطائف الظرفاء، وَكتاب المديح، وَكتاب الْأَدَب مَا للنَّاس فِيهِ إرب، وكتاب التفاحة، وَكتاب أَفْرَاد الْمعَانِي، وَكتاب نسيم الْأنس، وَكتاب اللَّطِيف فِي الطّيب، وَكتاب بهجة المشتاق، وَكتب خَصَائِص الفضايل، وَكتاب جَوَامِع الْكَلم، وَكتاب الْملح

والطرف، وَكتاب المشوق، وَكتاب من غَابَ عَنهُ المؤانس، وَكتاب نسيم السحر.

رؤيته للعربية:

من كلامه يرحمه الله في العلاقة بين العربية والقرآن: من شرح الله صدره للإيمان اعتقد أن محمدًا عليه السلام خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين؛ ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر المذاهب كالينبوع للماء، والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على تصاريفها، إلا قوة البيان في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة، اللذين هما عمدة الدين، لكفى بهما فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره، فكيف وأيسر ما خصها الله تعالى به من ضروب المادح يكل أقلام الكتبة، ويتعب أنامل الحسبة.

وفاتـه:

تُوفِّي ـ يرحمه الله ـ سنة ثَلَاثِينَ وَأَرْبعمائة وَقيل سنة تسع وَعشْرين.

10. الجُرْجَانيّ

(دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة) مصنفان من أشهر ما يزخر به التراث العربي، لايزالان ـ إلى اليوم ـ تُخصص لهما حلق البحث والدرس، وتعقد لمناقشتهما الندوات والمؤتمرات؛ إذ شغلت قضاياهما

المعنيين بالدرس العربي واللغوي قديمًا وحديثًا، خاصة (نظرية النظم)، وظل اسم مبدعهما (عَبْدُ القَاهِرِ الجُرْجَانِيّ) يتردد بين دفني مؤلفات متنوعة حاولت قراءة هذا الإرث الفريد.

مبدع العربية وشيخها علم من أعلام الفكر الإسلامي أثرى الدراسات العربية بما كَتبَ من مباحث في النحو والصرف والبلاغة والنقد، وأرسى نظرية النظم التي أدار عليها مباحث اللفظ والمعنى والصور البيانية وإعجاز القرآن.

وقد حاولت سهام التجريح النيل من هذا العلامة في عقيدته، وصرف الناس عنه، كشأن كثيرين ممن شيدوا ووضعوا لبنات أساسية في صرح المنجز الحضاري العربي الإسلامي، ولكن منجزات الرجل وإسهاماته المتفردة طاشت أمامها كل السهام وتصاغرت أمامها كل المزاعم.

نسبه ومولده وبيئته:

هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانيّ أبو بكر النحويّ، فارسيّ الأصل، جرجانيّ الدار، ولد ونشأ في جرجان، وكان شافعي المذهب، متكلمًا، على طريقة الأشعري.

وموطن الشيخ بيئة زاخرة بالنشاط العلمي خاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين؛ إذ خرج منها كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء ويكفي أنها انجبت أديبين كبيرين هما: القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني، والإمام عبد القاهر الجرجاني.

ولم تذكر أيُّ من المصادر التي ترجمت للشيخ شيئًا عن سنة مولده، ولم تتحدث عن أسرته، وأغلب الظن أن الجرجاني ولد في آخر القرن الرابع أو مطلع القرن الخامس، ولم يبرح بلده، وقد نشأ كما ينشأ غيره من الصبيان، ودرس علوم الدين والعربية كما درسها الأخرون.

أساتذته:

حظي الجرجاني بالتعلم على أيدي بعض علماء عصره فقد أخذ النحو عن الشيخ أبى الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسيّ، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبى على الفارسي، وأكثر عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدّر بجرجان، وحثّت إليه الرّحال، ولم يزل مقيمًا بجرجان يفيد الراحلين إليه، والوافدين عليه إلى أن توفيّ.

ومن أساتذته كذلك القاضي الجرجاني، فقد ذكر صاحب معجم الأدباء أنه قد قرأ عليه واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه.

ولم يصرح الجرجاني بأسماء شيوخه في مؤلفاته، بل كان يقول: "يقول شيخنا رحمه الله"، أو " أنشدنا شيخنا رحمه الله"، ويرى الدكتور أحمد مطلوب أن شيخه هذا هو على أبي الحسين بن عبد الوارث، ابن أخت أبي على الفارسي، وأن عبد القاهر لم يقف عند أخذه من شيخه، وإنما قرأ الكتب بعقل واعٍ، ونقل عن الكثيرين ممن

اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب كسيبويه والجاحظ والمبرد وابن دريد... وكان ثمرة ذلك الاطلاع والثقافة الواسعة أن تصدَّر بجرجان وذاع صيته وشدت إليه الرحال وقصده الطلاب.

مكانته ومنزلته العلمية:

تبوأ الشيخ مكانة علمية مرموقة في عصره، وإلى اليوم لايزال يشار إليه بالبنان لما أحدثه في الفكر اللغوي والبلاغي والنقدي من نقلات، وما قدمه من شروح تنبئ عن وعي وفكر ونظر وقراءة متأنية كثيرا ما نحتاج إليها في الدرس اللغوي والبلاغي والنقدي حتى نستعيد شيئًا من ريادتنا في المنجز الحضاري الراهن.

فهو نحوي، بياني، متكلم، فقيه، مفسر، وهو أول من دوَّن علم المعاني، وهو واضع أصول البلاغة، وهو من كبار أَئِمَّة الْعَرَبِيَّة وَالْبَيَان، عالم بالنحو والبلاغة، وهو شيخ العربيّة في زمانه، وله فضيلة تامة في النحو، كان إمامًا بارعًا مفتنّا، انتهت إليه رياسة النّحاة في زمانه، وما ذلك إلا لتبحره وكثرة اطلاعه، قال صاحب طبقات المفسرين: سمعت أبا محمد الأبيوردي يقول: ما مقلت عيني لغويا مثله، وصار الإمام المشهور، المقصود من جميع الجهات، مع الدّين المتين والورع والسكون، قَالَ السلَفِي: كَانَ ورعًا قانعًا دخل عَلَيْهِ لص وَهُوَ فِي الصَّلَاة فَأخذ مَا وجد وَعبد القاهر ينظر وَلم يقطع صلَاته.

وقال صاحب دمية القصر:" اتّفقت على إمامته الألسنة، وتجمّلت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة، وأثنى عليه طيب العناصر،

وثنيت به عقود الخناصر، فهو فرد في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير، وقد أفادني الشيخ أبو عامر ممّا ألقاه بحر الفضل على لسانه، ما نطق لسان الدّهر باستحسانه، ولست فيما فاتني من كريم مشاهدته، واشتيار لذيذ الشّهد من مذاكرته أيام أسعدتني الأيام منه بدنوّ الدار، ولفّ أطناب الخيمتين قرب الجوار، إلّا كمن ودّع الماء والخضرة، وتدرّع الشّعثة والغبرة، وواصل الغربة، وفارق الوطن.

آثاره العلمية:

ترك الرجل ـ يرحمه الله ـ ميراثا ضخمًا من المؤلفات بعضها وصلنا والآخر لم تقع عليه عيون الباحثين إلى اليوم، وقد تنوعت آثار الشيخ بين الدراسات القرآنية وعلوم اللغة، والنحو والصرف والبلاغة والنقد، وتلك بعض آثاره: كتاب شرح الفاتحة، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور، والمعتضد، والشرح الصغير، والرسالة الشافية، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، والمدخل في دلائل الإعجاز، وآراء الجرجاني، والإيجاز، والمغني، والمقتصد، والتكملة، والعوامل المائة، والجمل، والتلخيص، والعمدة في التصريف، وكتاب في العروض، والمختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام، ومختار الاختيار، والتذكرة، والمفتاح.

تلامـيذه:

مِن أبرز مَن تتلمذ على أيادي الشيخ الجرجاني بعض أئمة النحو واللغة والأدب، وكان الخطيب التبريزى (يحيى بن علي بن محمد بن موسى بن بسطام الشيبانيّ أبو زكريا) أحدهم، ومنهم الأستراباذي (عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ أَبُو الْحسن بن أبي زيد) الْمَشْهُور بالفصيحي؛ لتكراره على فصيح ثَعْلَب، قَرَأَ النَّحْو على عبد القاهر الجُرْجَانِيّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ملك النُّحَاة، ودرّس النَّحْو بالنظامية بعد الْخَطِيب التبريزي، ومن هؤلاء أحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير، له شرح اللمع لابن جني في النحو، ومنهم الإِمَام أَبُو المظفر الأبيوردي كان فاضلا في العربية والعلوم الأدبية نسابةً ليس مثله، وله في العربية مصنفات ما سبق إليها.

دراسات حول الجُرْجَاني:

شغلت آثار الشيخ الباحثين خاصة كتابيه: الدلائل والأسرار، وتلك بعض ما دار حول مؤلفاته:

1ـ د. أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده.

2ـ د. البدراوي زهران: عبد القاهر الجرجاني لغويًّا (رسالة ماجستير)، القاهرة 1974م.

3ـ د. محمد أبو موسى: مدخل إلى كتابيّ عبد القاهر الجرجاني، ط1 مكتبة وهبة، القاهرة.

4ـ د. سعيد بحيري: دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة.

5ـ وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني.

6ـ أحمد عاطف محمد كلاب: منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرضه المسائل النحوية، دراسة تحليلية.

7ـ د. فاتح حمبلي: ملامح التجديد في منهج البحث البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني.

8ـ محمد عباس: الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني.

9ـ طاهر القحطاني: المعاني الثواني عند عبد القاهر الجرجاني من خلال: الكناية والاستعارة والتمثيل.

10ـ د. علاء الدين رمضان: ظاهرة التناص بين الإمام عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا.

11ـ مؤتمر: الإمام عبد القاهر الجرجاني وجهوده في إثراء البلاغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بأسيوط 2014هـ.

وفاتـه:

توفي الشيخ ـ يرحمه الله ـ سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

11. ابن جنّي

أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بـ (ابن جني)، من أئمة الأدب والنحو، اللُّغَوِي، صاحب التّصانيف، من أحذق أهل الْأَدَب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وَعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو.

إنه عثمان بن جني أبو الفتح. ولد بالموصل عام 322 هـ، وسكن بغداد، وأقرأ بها الْأدب.. وكان أبوه مملوكًا روميًا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي.

عنايته بالتصريف:

صحب ابن جني أبا علي الفارسي أربعين سنة، وتبعه في أسفاره، وخلا به في مقامه، واستملى منه، وأخذ عنه، وصنّف في زمانه، ووقف أبو عليّ على تصانيفه واستجادها. وكان السبب في صحبته له أن أبا علي اجتاز بالموصل، فمرّ بالجامع وأبو الفتح في حلقة يقرئ النحو وهو شابّ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصّر فيها، فقال له أبو علي: زَبِبت قبل أن تحصرم، فسأل عنه فقيل له: هذا أبو علي الفارسي، فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف، فما أحد أعلم منه به، ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه. فلما مات أبو علي تصدّر أبو الفتح في مجلسه ببغداد.

مكانته العلمية:

ذكر صاحب «دمية القصر» ابن جني، فقال: ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له، ولا سيما في علم الإعراب، فقد وقع منها على ثمرة الغراب. ومن تأمّل مصنفاته، وقف على بعض صفاته.

وكان المتنبي يقول في أبى الفتح: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس. وكان يقول: ابن جنّي أعرف بشعري مني.

وحدّث أبو الحسن الطرائفي قال: كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيرًا ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئًا من شعره أنفة وإكبارًا لنفسه.

مصنفاتــه:

لابن جني مصنفات عدة منها: " اللُّمَع"، وكتاب "سر الصّناعة"، وكتاب "شرح تصريف المازني"، وكتاب "التلقين في النحو"، وكتاب "التعاقب"، وكتاب "الخصائص"، وكتاب "المذكر والمؤنث"، وكتاب "المقصور والممدود"، وكتاب "إعراب الحماسة"، وكتاب "المحتسب في شواذ القراءات"، وكتاب "التمام" في تفسير أشعار هذيل، وكتاب "إعراب أبيات ما استصعب من الحماسة"، ومن تصانيفه رسالة في "من نسب إلى أمه من الشعراء"، وله كتاب سمّاه "البشرى والظَّفَر" شرح فِيهِ بيتًا واحدًا من شعر الْأَمير عَضُد الدولة، وقدّمه لَهُ، وهو:

أهلا وسهلا بذي البُشْرَى ونَوْبتها

وباشتمال سرايانا عَلَى الظَّفَرِ

أوسَعَ الكلام فِي شرحه واشتقاق ألفاظه.

وفاتــه:

توفي . يرحمه الله . في شهر صفر سنة 392 هـ، وهو فِي عشر السبعين، وَقد خلف من الْأَوْلَاد عليا وعالياً والْعَلَاء، وَكلهمْ أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وسمعَّهم وَحسن خطوطهم، وهم معدودون فِي صحيحي الضَّبْط وحسني الخطوط.

12. الجَوْهَرِيُّ

أَبُو نصر إِسْمَاعِيل بن حَمَّاد الْجَوْهَرِي، من أَعَاجِيب الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَنه من الفاراب إِحْدَى بِلَاد التّرْك وَهُوَ إِمَام فِي علم لُغَة الْعَرَب، لم يتأخر فيها عن شرط أقرانه، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه.

وخطه يضْرب بِهِ الْمثل فِي الْحسن، وَيذكر فِي الخطوط المنسوبة لخط ابْن مقلة ومهلهل واليزيدي، ثمَّ هُوَ من فرسَان الْكَلَام، وَمِمَّنْ آتَاهُ الله قُوَّة وبصيرة وَحسن سريرة وسيرة، وَأَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي ضَبطِ اللُّغَةِ.

رحلاته العلمية:

كَانَ الْجَوْهَرِي يُؤثر السّفر على الوطن، والغربة على السكن والمسكن، ويخترق البدو والحضر، وَيدخل ديار ربيعَة وَمُضر فِي طلب الْأَدَب وإتقان لُغَة الْعَرَب، وَحين قضى وطره من قطع الْآفَاق والاقتباس من عُلَمَاء الشَّام وَالْعراق عاود خُرَاسَان وتطرق الدامغان؛ فأنزله أَبُو عَليّ الْحسن ابْن عَليّ وَهُوَ من أَعْيَان الْكتاب وأفراد الْفُضَلَاء عِنْده، وبذل فِي إكرام مثواه وإحسان قراه جهده، وَأخذ من أدبه وخطه حَظه، ثمَّ سرحه بِإِحْسَان إِلَى نيسابور، فَلم يزل مُقيمًا بهَا على التدريس والتأليف وَتَعْلِيم الْخط الأنيق وَكِتَابَة الْمَصَاحِف والدفاتر اللطائف حَتَّى مضى لسبيله عَن آثَار جميلَة وأخبار حميدة.

قال صاحب (نزهة الألباء): وأما أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، فإنه كان أديبًا فاضلاً، أخذ عن أبي علي الفارسي، وعن

خاله أبي إبراهيم الفارابي صاحب ديوان الأدب، وصنف الصحاح في اللغة للأستاذ أبي منصور البيشكي، وحصل سماع أبي منصور منه إلى باب الضاد المعجمة.

مصنفاته:

من أشهر ما صنف الجوهري كتاب (الصّحاح في اللغة) وهو أكبر وأقرب متناولًا من (مجمل اللّغة)، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابوريّ ـ وكان عنده الكتاب بخط مؤلّفه:

هذا كتاب الصّحاح سيّد ما*** صنّف قبل الصّحاح في الأدب

يشمل أنواعه ويجمع ما*** فرّق في غيره من الكتب

وهكذا كتاب الصّحاح قد سار في الآفاق، وبلغ مبلغ الرّفاق، ولمّا دَخلتْ منه نسخة إلى مصر نظرها العلماء، فاستجودوا مأخذها وقربه. وَلِلجَوْهَرِيِّ أيضا نَظْمٌ حَسَنٌ، وَمُقَدِمَةٌ فِي النَّحْو.

وفاته:

قَالَ جَمَالُ الدِّيْنِ عَلِيّ بن يُوْسُفَ القِفْطِي: مَاتَ الجَوْهَرِيّ مُتَرَدِّيًا مِنْ سَطْحِ دَارِهِ بِنَيْسَابُوْرَ، فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ وَتِسْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ، ثُمَّ قَالَ: وَقِيْلَ: مَاتَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي حُدُوْدِ سَنَةَ أَرْبَعِ مائَةٍ.

13. ابنُ الحاجِبِ

الشَّيْخُ الإِمَامُ العَلاَّمَةُ المُقْرِئُ الأُصُوْلِي الفَقِيْه النَّحْوِيّ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَان بن عُمَرَ بنِ أَبِي بَكْرٍ بنِ يُوْنُسَ الكُرْدِيّ، الدُّوِيْنِيّ الأَصْل، الإِسنَائِي

المَوْلِد، المَالِكِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، المعروف بابن الحاجب، حيث كان والده حاجبًا للأمير عز الدين الصلاحي.

أساتذتـه:

حَفِظَ ابن الحاجب القُرْآنَ، وَأَخَذَ بَعْض القِرَاءات عَنِ الشَّاطِبِيّ، وَسَمِعَ مِنْهُ "التَّيْسِيْرَ"، وَقَرَأَ بِطرقِ "المُبْهِجِ" عَلَى الشِّهَاب الغَزْنَوِيّ، وَتَلاَ بِالسَّبْع عَلَى أَبِي الجُوْدِ، اشتغل بالعربية والقراءات، وبرع في علومها وأتقنها غاية الإتقان. ومن علماء عصره الذين أخذ عنهم: أبو محمد قاسم بن فيرُّه، وهبة الله البوصيري، وأبو الحسن الأبياري، وأبو الفضل الغزنوي.

وفي دمشق درس بجامعها في زاوية المالكية، واكب الخلق على الاشتغال عليه، والتزم لهم الدروس وتبحر في الفنون، وكان الأغلب عليه علم العربية.

مكانته العلمية:

وُصِف الشيخ بأنه مِنْ أَذكيَاء العَالِم، رَأْسًا فِي العَرَبِيَّة وَعلم النَّظَرِ، تتلمذ على يده جمع من الطلاب، وَتَخَرَّجَ بِهِ الأَصْحَابُ، وَسَارَتْ بِمُصَنَّفَاتِهِ الرُّكبَانُ، وَخَالَفَ النُّحَاةَ فِي مَسَائِلَ دَقِيقَةٍ، وَأَوْرَدَ عَلَيْهِم إِشكَالاَتٍ مُفحِمَةً.

ومما قيل في ترجمته: أبو عمرو بن الحاجب فَقِيْهٌ، مُفْتٍ، مُنَاظر، مُبَرِّز فِي عِدَّة عُلُوْمٍ، مُتَبَحِّرٌ، مَعَ دينٍ وَوَرَعٍ وَتَوَاضُعٍ وَاحتمَالٍ وَاطِّرَاحٍ

للتكلف. قَالَ عنه ابْنُ خَلِّكَانَ: كَانَ مِنْ أَحْسَن خلق الله ذِهْنًا، جَاءنِي مرَارًا لأَدَاء شهَادَات، وَسَأَلته عَنْ موَاضِع مِنَ العَرَبِيَّة، فَأَجَابَ أَبلغ إِجَابَة بِسكُوْن كَثِيْر وَتثبُّت تَامّ.

ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية: الرضي القسطنطيني، والموفق محمد بن أبي العلاء النَّصيّبي، وغيرهم.

مصنفاتـه:

أما عن مصنفاته، فقد ترك ابن الحاجب للمكتبة العربية مجموعة من المصنفات النفيسة في الفقه وأصوله، وفي العقيدة وفي النحو والصرف والعروض، منها: الكافية، وشرح الكافية، والشافية، وشرح الشافية، والإيضاح في شرح علل المفصل، والأمالي النحوية، وإعراب بعض آيات القرآن، ورسالة في الشعر، والمسائل الدمشقية، والمقصد الجليل في علم الخليل، وجامع الأمهات في الفقه المالكي.

ومن أجلِّ مصنفاته (الكافية) حيث أفاد كثيرًا في تأليفها ممن سبقوه في العربية؛ فجاءت فريدة من نوعها، عظيمة المنزلة بين قريناتها من علوم العربية، يبدو ذلك مما حظيت به من الشروح الكثيرة التي دارت حولها، كما نظمت وشُرح النظم، وعلق على شروحها حواشٍ، وأُعربت، ولخص بعض شروحها، وعدَّ بعض الباحثين المعاصرين ما يربو على مائة شرح لها؛ الأمر الذي يؤكد عظم هذا المصنف النفيس.

وفاتـــه:

وقد وافاه الأجل ـ يرحمه الله ـ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّة فِي السَّادِس وَالعِشْرِيْنَ مِنْ شَوَّال سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِيْنَ وَسِتِّ مائَةٍ.

14. ابن خالويه

ابْن خالويه الهمذاني، أَبُو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان أبو عبد الله اللغوي النحوي، من كبار أهل اللغة والعربية أصله من همذان، إِمَام فِي اللُّغَة والعربية وَغَيرهمَا من الْعُلُوم الأدبية، دخل بغداد طالبًا للعلم سنة أربع عشرة وثلاثمائة فلقي فيها أكابر العلماء وأخذ عنهم.

أساتذتـه:

قرأ ابن خالويه القرآن على الإمام ابن مجاهد، والنحو والأدب على أبي بكر ابن دريد وأبي بكر بن الأنباري ونفطويه، وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، وقرأ على أبي سعيد السيرافي.

مكانته العلمية:

انتقل ابن خالويه إلى الشام ثم إلى حلب فاستوطنها وتقدم في العلوم حتى كان أحد أفراد عصره، وكانت الرحلة إليه من الآفاق حيث انتشر علمه وفضله وذاع صيته.

قال أبو عمرو الداني: كان ابن خالويه عالما بالعربية، حافظا للغة، بصيرًا بالقراءة، ثقة مشهورًا. روى عنه غير واحد من شيوخنا: عبد المنعم بن غلبون، والحسن بن سليمان، وغيرهما.

روي أنّ رجلا جاء إلى ابن خالويه، وقال له: أريد أن أتعلّم من العربية ما أقيم به لساني، فقال: أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لساني.

ملحـة:

حكى عنه أبو بكر الخوارزمي أنه قال: كل عطر مائع فهو الملاب، وكل عطر يابس فهو الكباء، وكل عطر يدق فهو الألنجوج.

كان الشيخ إذا تكلم قصد التقعير في كلامه، واستعمل وحشيّ اللغة، وقد حكي بعضهم عنه: وجدت على ظهر كتاب بإسناد مرفوع إلى أحمد بن كاشقر: جئت أبا عبد الله ابن خالويه، فلما نظرني من بعيد، قال لي: ما تبغي من علومنا نحوًا أم لغةً؟ فقلت: لا أحرم شيئا، فقال: اجعل حندورتك في قهبلي، وخذ المزبر بشناترك، فلا أنغو بنغوة إلا جعلتها في حماطة جلجلانك، ونحّ الكنفشة على الحذنّة.

مصنفاتــه:

للشيخ مصنفات منها: كتاب كبير في الأدب سماه " كتاب ليس" وهو يدل على اطلاع عظيم؛ فإن مبنى الكتاب من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا، وله وكتاب "الآل"، و"الاشتقاق"، و"الجمل" في النحو، وكتاب "القراءات"، وكتاب "إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز"، وكتاب "المقصور والممدود"، وكتاب "المذكر والمؤنث"، وكتاب "الألفات"، وكتاب "شرح المقصورة لابن دريد"، وكتاب "الأسد"، وغير ذلك.

وفاتــه:

كانت وفاة ابن خالويه ـ يرحمه الله ـ في سنة سبعين وثلثمائة بحلب.

15. ابْن خَروف

من كبارِ النحاةِ بالأندلسِ، إِمَامُ الْعَرَبيَّة الحَافِظُ المحقِقُ المدقِقُ، عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد نظام الدّين أَبُو الْحسن ابْن خروف الأندلسي النَّحْوِيّ، كانت العربية بضاعته وصناعته؛ فانصرف عن كل ما يشغله عن العلم إلا من تجارة يستطيع من خلالها تدبير معايشه.

أساتذتــه:

ذكرت المصادر أنه: تلا بالسبع على أبي بكر بن صاف وأبي محمد قاسم بن الزقاق، وروى الحديث عن أبي بكر بن خير وابن زرقون وأبوي عبد الله: ابن الرمامة وابن المجاهد، وتفقه بهما، وأبي القاسم ابن بشكوال، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي مروان بن قزمان. وأخذ علم الكلام وأصول الفقه عن العارف أبي عبد الله الرعيني ركن الدين، وأبي الوليد بن رشد الأصغر. والعربية والآداب عن أبي إسحاق بن ملكون، وأبي بكر بن طاهر ولزمه، وعليه أتقن "الكتاب" وعنه لقن أغراضه.

تلامــيذه:

روى عنه آباء بكر: ابن عبد النور وابن فحلون والقرطبي، وآباء الحسن: الدباج والشاري وابن القطان، وأبو الحسين عبيد الله بن عاصم الدائري، وأبو الخطاب بن خليل، وأبو عبد الله الرندي، وأبو العباس بن هارون وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المصمودي ابن رحمون، وأبو محمد بن قاسم الحرار.

مكانته العلمية:

قال صاحب كتاب: "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" عن الشيخ: كان مُقرِئًا مجوِّدًا حافظًا للقراءات، نَحْويًّا ماهرًا، عَدَديًّا فَرَضيًّا، عارِفًا بالكلام وأصُولِ الفقه، وقد صَنَّفَ في كلِّ ما يَنتحلُه من العلوم مصنَّفاتٍ مُفيدةً شرَّقَت وغرَّبَت، وتداوَلَ الناسُ انتساخَها رغبةً فيها وشهادةً بجَوْدتِها، وقال ابن شاكر الكتبي: كان إمامًا في العربية، مدققًا، محققًا، ماهرًا، مشاركًا في علم الكلام والأصول.

أخلاقــه:

كان أبو الحَسَن ـ رحمه اللهُ ـ صَرورةً لم يتزوَّجْ قَطُّ إلى أن توفِّي، وكان يقول: والله ما حلَلْتُ مِئْزَري قطُّ على حَلالٍ ولا حَرام، وكان مشهورًا بالصِّدق وطهارةِ الثَّوب والصِّيانة والعَفاف، متجوِّلًا عُمُرَه على البُلْدان، يُديرُ بضاعةً له كانت في تجارةٍ أكثرُها في إقامة أواني الخَشَب المخروطة، وأكثرَ ما كان يتردَّدُ بينَ رُنْدةَ وإشبيلِيَةَ وسبْتةَ وفاسَ ومَرَّاكُشَ، فمتى حَلَّ ببلدٍ شَرَعَ في إقامة ما يُقيمُ من ذلك إن كان بلدَ إقامة، أو بيعِه إن كان بلدَ بَيعْ ما أقامه بغيرِه، وانتَصَبَ لتدريسِ ما

كان لدَيْه من المعارفِ رَيْثَما يتمُّ غَرَضُه في البيع والإقامة، ويَستوفي الجُعْلَ على الإقراءِ من الطّلبة، ولا يُسامحُ أحدًا في القراءةِ عليه إلا بجُعْل يُرتّبُه عليه، ثم يرحَلُ، هكذا كان دَأْبُه، وكان وَقُورَ المجلس مَهيبًا.

مصنفاتـه:

صنف الشيخ شرحًا لكتاب سيبويه جليل الفائدة وسماه: "تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"، وصنف شرحًا لجمل الزجاج، وكتابًا في الفرائض. وكان كثير العناية بالرد على الناس فرد على إمام الحرمين أبي المعالي النيسابوري في كتابه: "الإرشاد والبرهان"، وعلى أبي الحسين بن الطراوة في مقدماته على أبواب الكتاب، وعلى الأعلم في "رسالته الرشيدية" وغيرها، وعلى أبي محمد بن حزم في بعض مقالاته، وعلى أبي إسحاق بن ملكون وأبي الوليد بن رشد وأبي القاسم السهيلي في مسائل كثيرة، وعلى أبي جعفر بن مضاء وعلى غيرهم من أهل عصره.

وفاتـه:

توفِّي ـ يرحمه الله ـ بإشبيلِيَةَ في العَشْر الوُسَط من جُمادى الآخِرة، وقيل في صَفَرِ تسع وستمائة ابنَ ثمانينَ سنةً أو نحوِها.

16. ابْنُ الْخَشَّابِ

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْمُحَدِّثُ، إِمَامُ النَّحْوِ أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرٍ، الْبَغْدَادِيُّ ابْنُ الْخَشَّابِ، وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

أساتذتـه:

نَهَلَ ابن الخشاب من علوم عصره المختلفة، فاتجه إلى من أدركهم من العلماء، إذ سَمِعَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الرَّبَعِيِّ، وَأَبِي النَّرْسِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مَنْدَهْ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَارِعِ، وَأَبِي غَالِبٍ الْبَنَّاءِ، وَهِبَةِ اللَّهِ بْنِ الْحُصَيْنِ، وَأَخَذَ الْأَدَبَ عَنْ أَبِي عَلِيِّ بْنِ الْمُحَوَّلِ شَيْخِ اللُّغَةِ، وَأَبِي السَّعَادَاتِ بْنِ الشَّجَرِيِّ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي زَيْدٍ الْفَصِيحِيِّ، وَأَبِي مَنْصُورٍ مَوْهُوبِ بْنِ الْجَوَالِيقِيِّ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ جُوَامَرْدَ النَّحْوِيِّ.

مكانته العلمية:

فَاقَ شيخنا أَهْلَ زَمَانِهِ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ، وَبَالَغَ فِي السَّمَاعِ حَتَّى قَرَأَ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَحَصَّلَ مِنَ الْكُتُبِ شَيْئًا لَا يُوَصَفُ، وَتَخَرَّجَ بِهِ فِي النَّحْوِ خَلْقٌ، وقد ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ بَلَغَ رُتْبَةَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ.

حَدَّثَ عَنْهُ: السَّمْعَانِيُّ، وَأَبُو الْيُمْنِ الْكِنْدِيُّ، وَالْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ، وَالشَّيْخُ الْمُوَفَّقُ، وَأَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبُرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عِمَادٍ، وَفَخْرُ

الدِّينِ بْنُ تَيْمِيَةَ، وَمَنْصُورُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْمُعْوَجِّ.

قَالَ عَنهُ صاحبُ الأنسابِ: هُوَ شَابٌّ كَامِلٌ فَاضِلٌ، لَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْحَدِيثِ، يَقْرَأُ الْحَدِيثَ قِرَاءَةً حَسَنَةً صَحِيحَةً سَرِيعَةً مَفْهُومَةً، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَحَصَّلَ الْأُصُولَ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ كَانَ يَضِنُّ بِهَا، سَمِعْتُ بِقِرَاءَتِهِ كَثِيرًا، وَكَانَ يُدِيمُ الْقِرَاءَةَ طُولَ النَّهَارِ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ، سَمِعْتُ أَبَا شُجَاعٍ الْبَسْطَامِيَّ يَقُولُ: قَرَأَ عَلِيُّ بْنُ الْخَشَّابِ " غَرِيبَ الْحَدِيثِ" لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْقُتَبِيِّ قِرَاءَةً مَا سَمِعْتُ قَبْلَهَا مِثْلَهَا فِي الصِّحَّةِ وَالسُّرْعَةِ، وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ، فَكَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِ فَلْتَةَ لِسَانٍ، فَمَا قَدِرُوا.

ملحـة:

قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: سَمِعْتُ الْمُبَارَكَ بْنَ الْمُبَارَكِ النَّحْوِيَّ يَقُولُ: كَانَ ابْنُ الْخَشَّابِ إِذَا نُودِيَ عَلَى كِتَابٍ، أَخَذَهُ وَطَالَعَهُ، وَغَلَّ وَرَقَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: هُوَ مَقْطُوعٌ، فَيَشْتَرِيهِ بِرُخْصٍ، قُلْتُ: لَعَلَّهُ تَابَ، فَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ الْجُبَّائِيُّ رَأَيْتُ ابْنَ الْخَشَّابِ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ، وَعَلَى وَجْهِهِ نُورٌ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، وَدَخَلْتُ الْجَنَّةَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعْرَضَ عَنِّي وَعَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِمَّنْ لَا يَعْمَلُ.

مصنفاتـه:

من التصانيف التي تركها ابن الخشاب: كتاب "شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة" في النحو، أربع مجلدات، وكتاب "المرتجل في شرح الجمل

للزجاجي"، وكتاب "الرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح"، و"نقد المقامات الحريرية".

وفاتــه:

كانت وفاته ـ يرحمه الله ـ في الثَالِثِ من رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

17. ابْنُ دُرُسْتَوَيْه

الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، شَيْخُ النَّحْوِ، عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان، أبو محمد الفارسي. من كبار المحدثين، وأحد من اشتهر اسمه، وعلا قدره، وكثر علمه، جيد التصنيف، مليح التأليف، كان عالماً فاضلاً، برع في العربية، وله تصانيف في غاية الجودة والإتقان.

أساتذتــه:

قرأ على المبرد وصَحِبَه، ولقي ابن قتيبة، وأخذ عنه، وحدث عن: أَحْمَد بن الحباب الحميري، ويعقوب بن سفيان النسوي، وعباس بْن مُحَمَّد الدوري، ويَحْيَى بْن أَبِي طالب، والقاسم بن المغيرة الجوهري، ومُحَمَّد بن الْحُسَيْن الحنيني، وأَبِي قلابة الرقاشي، وعَبْد الرحمن بْن مُحَمَّد بْن منصور الحارثي، وعبد الكريم بْن الهيثم العاقولي.

تلاميذه:

من تلاميذه الذين رَوَوا عَنْهُ: الدّارَقُطْنِيّ، وابن شاهين، وابن منده، وابن رزقويه، وابن الفضل القطان، وأبو علي بْن شاذان، وغيرهم.

مكانته العلمية:

رُزِق الشيخُ الإِسْنَاد العَالِي، وكَانَ ثِقَةً، قَالَ أبو القاسم الأزهري: رأيت أصل كتاب ابن درستويه بتاريخ يعقوب بن سفيان لما بيع في ميراث ابن الآبنوسي، فرأيته أصلًا حسنًا، ووجدت سماعه فيه صحيحًا.

وقَالَ أبا سعد الْحُسَيْن بن عثمان الشيرازي عنه: ثقة ثقة، حَدَّثَنَا عنه أبو عبيد اللَّه بن منده الحافظ، وسألته عنه فأثنى عليه ووثقه، وَضَعفه هبة الله اللالكائي، وَقَالَ: بَلغنِي أَنه قيل لَهُ: حدث عَن عَبَّاس الدوري حَدِيثا ونعطيك درهما، فَفعل، وَلم يكن سَمعه مِنْهُ، قَالَ الْخَطِيب: وَهَذَا بَاطِل؛ لِأَنَّهُ كَانَ أرفع قدرًا من أَن يكذب، وكان شديد الانتصار للبصْريّين فِي اللُّغة والنحو.

مصنفاته:

ترك الشيخ مجموعة من التصانيف منها: تفسير كتاب الجرميّ، وهو غاية في بابه، ومنها كتابه في النحو الذى يدعى الإرشاد، ومنها كتابه في الهجاء وهو من أحسن كتبه، ومنها شرح الفصيح، وهو في غاية الحسن والجودة يدلّ على الاطّلاع التام، وله ردّ على المفضّل في الردّ على الخليل، وكتاب الهداية، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب غريب

الحديث، وكتاب معانى الشعر، وكتاب الحيّ والميت، وكتاب التوسّط بين الأخفش وثعلب في تفسير القرآن واختيار أبى محمد في ذلك، وكتاب شرح المفضّليات، لم يتممه، وكتاب شرح المقتضب، لم يتممه، وكتاب تفسير السّبع الطوال، لم يتممه، وكتاب المعاني في القرآن، لم يتممه، وكتاب تفسير الشيء، لم يتممه، وكتاب نقض الراونديّ على النحويين، وكتاب الردّ على بزرج العروضىّ، وكتاب الأزمنة، لم يتممه، وكتاب الردّ على ثعلب في اختلاف النحويين، وكتاب خبر قسّ بن ساعدة وتفسيره، وكتاب شرح الكلام ونكته، لم يتممه، وكتاب الردّ على ابن خالويه في الكلّ والبعض، وكتاب الردّ على ابن مقسم في اختياره، وكتاب في الأضداد، وكتاب أخبار النحويين، وكتاب الردّ على الفرّاء في المعاني، وكتاب جوامع العروض، وكتاب الاحتجاج للفرّاء، وكتاب تفسير قصيدة شبيل بن عزرة، وكتاب رسالة إلى نجيح الطولوني في تفضيل العربية، وكتاب الكلام على ابن قتيبة في تصحيف العلماء، وكتاب الردّ على أبى زيد البلخي في النحو، وكتاب الردّ على من قال بالزوائد، وكتاب النصرة لسيبويه على جماعة النحويين، وكتاب الانتصار لكتاب العين وأنه للخليل.

وفاتــه:

توفي ـ يرحمه الله ـ سنة سبع وأربعين وثلاثمائة في خلافة المطيع.

18. الدَّمَاميني

مُحَمَّد بن أبي بكر بن عمر بن أَبى بكر بن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان ابْن جَعْفَر بن يحيى بن حُسَيْن بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن أَبى بكر ابْن يُوسُف ابْن علي بن صَالح بن إِبْرَاهِيم الْبَدْر المخزومي السكندري المالكي، وَيعرف بِابْن الدَّمَامِيني ولد سنة 763 هـ بالإسكندرية.

رحلاتـه العلمية:

استوطن الشيخ القاهرة ولازم العلامة ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق، ومنها حج، وعاد إلى مصر فولي فيها قضاء المالكية، ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد نحو سنة، وانتقل بعد ذلك إلى الهند.

كانت رحلات الشيخ بين عدة حواضر إسلامية متعلمًا وعالمًا وقاضيًا: فقد سمع بالإسكندرية من الْبَهَاء بن الدماميني وَآخَرين، وبالقاهرة من السراج بن الملقن وَغَيره، وبمكة من النويري واشتغل بِبَلَدِهِ على علمائها فمهر فِي الْعَرَبيَّة وَالْأَدب، وشارك فِي الْفِقْه ودرس فِي الْإِسْكَنْدَريَّة بعدة مدارس، وناب فِي الْقَضَاء بِبَلَدِهِ وبالقاهرة، وتصدر بالجامع الْأَزْهَر لإقراء النَّحْو، وَدخل دمشق وَعين فِي أَيَّام الْمُؤَيد لقَضَاء الْمَالِكِيَّة، وَدخل بِلَاد الْيمن فدرس بِجَامِع زبيد بَحر سنة، وَلم يرج لَهُ بهَا أَمر فَركب الْبَحْر إِلَى الْهِنْد فَأقبل عَلَيْهِ أَهلهَا كثيرا وَأخذُوا عَنهُ وعظموه وَحصل دنيا عريضة.

مكانته العلمية:

قال صاحب الضوء اللامع: كان أحد المتكلمين في فنون الأدب، أقر له الأدباء بالتقدم فيه وبإجازة القصائد والمقاطيع والنثر، معروفًا بإتقان الوثائق مع حسن الخط والمودة، وأذعن له أئمة عصره.

مصنفاتـه:

ترك الدماميني عدة مصنفات في علوم مختلفة تكشف عن سعة عقله، وقدراته العلمية الهائلة، منها: (تحفة الغريب) شرح لمغني اللبيب لابن هشام، و(نزول الغيث)، انتقد فيه شرح لامية العجم للصفدي، و(الفتح الرباني) في الحديث، و(عين الحياة) اختصر به حياة الحيوان للدميري، و(العيون الغامزة) شرح للخزرجية في العروض، و(شمس المغرب في المرقص والمطرب) في الأدب، و(مصابيح الجامع) وهو شرح لصحيح البخاري، و(جواهر البحور) في العروض، و(إظهار التعليل المغلق) في مسألة نحوية، و(شرح تسهيل الفوائد) ،و(الفواكه البدرية) من نظمه، و(شرح لامية العجم) للطغرائي.

وفاتـه:

كانت وفاته ـ يرحمه الله ـ في الهند في مدينة (كلبرجا) في شعبان عام 827هـ.

19. ابْنُ الدَّهَّانِ

هو العَلاَّمَةُ صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد ابن عاصم،

وقيل: عصام بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد بن شاكر بن عياض بن حصن بن رجاء بن أبي بن شبل بن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري، ناصح الدين أبو محمد، المعروف بابن الدهان البَغْدَادِيُّ، النَّحْوِيُّ.

وقد نص جماعةٌ من المترجمين أن نسبه يرجع إلى الصحابي الجليل أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، ثم وُهم بعض المعاصرين، فنسبوه إلى كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، وُلِدَ: سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ وَأَرْبَعِمائَةٍ.

أساتذتــه:

كان أكثر أخذ ابن الدهان عن الكتب فيما يبدو، حيث لم يُذكر له شيخٌ في علوم العربية إلا ما ذكره ياقوت الحموي أنه أخذ اللغة العربية عن الرمانيّ. وأما شيوخه في الحديث، فقد سمع الحديث من أبي غالب أحمد بن البناء، وأبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وغيرهما.

تلامـيذه:

وممن أخذوا عن الشيخ: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، وأبو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور البلطي (ت 599هـ)، وأبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر، صاحب تاريخ دمشق (ت ٥٧١)، وأبو الحرم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني الضرير (ت ٦٠٣هـ)، وأبو

السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، وأخذ عنه الخطيب التبريزي وجماعة.

مكانته العلمية:

كان الشيخ من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين، واسع العلم في العربية، جيد الشعر، كثير التصنيف، نعت بسيبويه عصره، يُقَالُ: نُحَاةُ بَغْدَادَ أَرْبَعَةٌ: ابْنُ الجَوَالِيْقِيّ، وَابْنُ الشَّجَرِيّ، وَابْن الخَشَّاب، وَابْن الدَّهَّانِ،

قَالَ القِفْطِيُّ: ذهب إِلَى أَصْبَهَانَ، وَاستفَاد مِنْ كتبهَا، ثُمَّ نَزَلَ المَوْصِلَ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ، وَبَالَغَ (الجَوَادُ) وزير الموصل فِي إِكرَامِه، وَقرَّر لَهُ.

ومع ذلك نجد ياقوت يسجل له هذه الملاحظة العجيبة، قَالَ يَاقوت: وَكَانَ مَعَ سَعَة علمه سقيم الخطّ كثير الْغَلَط وَهَذَا عَجِيب من أمره. ويذكَر له في ذلك نادرة طريفة، فقد أملى حكايةً على ابن عساكر، ثم عرضها عليه ابن السمعاني، فقال: ما أعرفها، ثم استملاها ابن الدهان من ابن السمعاني، قال: أخبرني ابن السمعاني، عن ابن عساكر عني. روى عن شخصين عن نفسه.

نكبــته:

نُكب الشيخ في مكتبته عندما غرقت بغداد في سنة ثمان وستين وخمسمائة في أيام المستضيء بالله، وقعت داره على كتبه التي كان قد جمعها في مدة عمره، وكان أكثرها بخطه، فبلغه ذلك فوجّه مملوكه إلى بغداد فوجدها وقد بقيت تحت الهدم أياما كثيرة، وقد تعفّنت

وذهب أكثرها، فقد كان من الاتفاق السيء في أمرها أنه كان في جواره مدبغة فسرى إليها روائح الجلود، فصارت آية في النتن وسوء الحال، وجاءوا بها على تلك الصفة، وكان فيما ذهب منها شرح الإيضاح، ولم يبق منه إلا ست عشرة مجلدة لأنها كانت صحبته لما أصعد، وقال: لقد بخّرت كتبي لتزول منها روائح العفونة فلم تزل، وأصيب على كتبه مصابا عظيما، وعالجها بالبخرات حتى كان سببًا لذهاب بصره، فما مات حتى أضر.

مصنفاتـه:

ترك الشيخ مصنفات تجاوزت العشرين منها: كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي ثلاث وأربعون مجلدة، وكتاب الغرة، وهو شرح اللمع في العربية لابن جني ثلاث مجلدات، وكتاب تفسير القرآن أربع مجلدات، وكتاب النهاية في العروض، وكتاب الدروس مقدمة في النحو، وكتاب الفصول في النحو، وكتاب الدروس في القوافي والعروض، وكتاب العقود في المقصور والممدود، وكتاب المآخذ الكندية من المعاني الطائية، وهو ما أخذ المتنبي من أبي تمام، وكتاب فيه شرح بيت واحد من شعر الملك الصالح ابن رزيك وزير صاحب مصر، عشرين كراسة، وكتاب إزالة المراء في الغين والراء، وكتاب الغنية في الضاد والظاء، وكتاب الأضداد، وكتاب النكت والإشارات على ألسن الحيوانات، وكتاب في شرح "قل هو الله أحد" مجلد، وكتاب في شرح الفاتحة مجلد، وكتاب رسائله، وكتاب ديوان شعره.

وفاتـــه:

كانت وفاة الشيخ ـ يرحمه الله ـ في الموصل، ليلة عيد الفطر سنة ٥٦٩هـ.

20. الرَّضي

الإمام العالم العلَّامة، ملك العلماء، صدر الفضلاء، الفقيه المعظم، محمد بن الحسن الاستراباذي، المعروف بالرضي، وبالشارح، وبنجم الأئمة، ونجم الملة والدين، كانت ولادته سنة 624 تقريبًا.

شح المعلومات عن الرضي:

لم تذكر المراجع التي تناولت سير علماء العربية شيئًا عن طفولته ولا عن نشأته ولا عمن أخذ عنهم من العلماء ومن أخذوا عنه إلا النذر اليسير، وكل ما ذكر عنه أنه عالم بالعربية، من أهل أستراباذ (من أعمال طبرستان) اشتهر بكتابيه (الوافية في شرح الكافية، لابن الحاجب) في النحو جزآن، أكمله سنة 686 و(شرح مقدمة ابن الحاجب) وهي المسماة بالشافية، في علم الصرف، ولم تزد هذه المراجع إلا أن ذكرت كتابًا آخر له وهو شرحه للقصائد السبع العلويات لابن أبي الحديد.

مكانته العلمية:

لكنْ ـ والحق ـ يقال إن كثيرًا من المراجع أثنت عليه كثيرًا فيما وعاه من علم، وما سار عليه من منهجيه في التناول والشرح، إن الرضي عالم نحو وصرف ولغة لا شك في هذا، ومؤلفاته التي بين أيدينا تشهد له بما وصل إليه من رأي حصيف، وعلم واسع، ووعي عميق، وفهم دقيق، واستيعاب لمسائل هذه العلوم، واستحضار لشواهدها، ولما قيل فيها من آراء، وهذا يدل على سعة اطلاع على هذه العلوم، ومناقشته لمسائلها، وسرد آراء ذوي الرأي، وتمييزه بين الحسن والردئ، والغث والسمين.

قال عنه الإمام السيوطي، صَاحبُ شرح الكافية لِابْنِ الْحَاجِب، الَّذِي لم يؤلف عَلَيْهَا ـ بل وَلَا فِي غَالب كتب النَّحْو ـ مثلهَا، جمعًا وتحقيقًا، وَحسن تَعْلِيل، وَقد أكب النَّاس عَلَيْهِ، وتداولوه وَاعْتَمدهُ شُيُوخ هَذَا الْعَصْر، فِي مصنفاتهم ودروسهم، وَله فِيهِ أبحاث كَثِيرَة مَعَ النُّحَاة، واختيارات جمة، ومذاهب ينْفَرد بهَا؛ ولقبه نجم الْأَئِمَّة.

وقال الشريف الجرجاني: إن شرح الكافية كتاب جليل الْخطر مَحْمُود الْأَثر يحتوي من أصُول هَذَا الْفَنّ على أمهاتها، وَمن فروعه على نكاتها، قد جمع بَين الدَّلَائِل والمباني وتقريرها، وَبَين تَكْثِير الْمسَائِل والمعاني وتحريرها، وَبَالغ فِي توضيح المناسبات، وتوجيه المباحثات، حَتَّى فاق ببيانه على أقرانه وَجَاء كِتَابه هَذَا كعقد نظم فِي جَوَاهِر الحكم بزواهر الْكَلم.

وقد أثنى صاحب كتاب (مفتاح السعادة) على دقته في النظر العلمي بقوله: ليس في المتأخرين من اطلع على تدقيقات كتاب سيبويه مثل الرضي.

وفاتـــــه:

كانت وفاته في 686هـ، رحم الله الإمام الرضي، وعفر له على ما أثرى به المكتبة اللغوية العربية من مؤلفات لاتزال عمدة الدارسين والباحثين في كثير من علوم العربية.

21. الرُّمَّاني

العلَّامة علي بْن عيسى بْن علي بْن عَبْد اللَّه، أَبُو الحسن النحوي المعروف بالرُّمَّاني، أحد الأئمة المشاهير، كان مفننًا فِي علوم كثيرة، من: الفقه والقراءات، والنحو، واللغة، والكلام على مذهب المعتزلة. كما كان إماما في علم العربية، علّامة في الأدب في طبقة أبي عليّ الفارسيّ وأبي سعيد السيرافي.

أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد، له نحو مئة مصنف، أخذ عن ابن السراج وابن دريد والزجاج، وَقَرَأَ عَلَيْهِمَا " الْكتاب"، وأخذ

عنه: أبو القاسم علي بن عبد الله الدقيقي، وَالجَوْهَرِيُّ، وَهلاَلُ بنُ المحسّنِ، وابْن الدهان النَّحْوِيّ.

مكانته العلمية:

كان يقال: النحويون في زماننا ثلاثة: واحد لا يفهم كلامه وهو الرمانيّ، وواحد يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسيّ، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافيّ.

وذكر أبو حيان التوحيديّ ـ أحد تلاميذه ـ في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ فقال: ومنهم علي بن عيسى الرماني فإنه لم ير مثله قطّ بلا تقيّة ولا تحاش ولا اشمئزاز ولا استيحاش، عِلمًا بالنحو، وغزارةً في الكلام، وبصرًا بالمقالات، واستخراجًا للعويص، وإيضاحًا للمشكل، مع تأله وتنزه ودين ويقين وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة.

وكان يمزج كلامه بالمنطق حتى قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن الرماني فليس معنا شيء منه، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء.

ويحكى أن علي بن عيسى الرماني سئل، فقيل له: لكل كتاب ترجمة، فما ترجمة كتاب الله عز وجل؟ فقال:(هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ)، إبراهيم /14.

تصانيفه:

للرماني تصانيف في جميع العلوم من التفسير والنحو واللغة والأدب والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة، منها: كتاب تفسير القرآن المجيد، وكتاب الحدود الأكبر، وكتاب الحدود الأصغر، وكتاب معاني الحروف، وكتاب شرح الصفات، وكتاب شرح الموجز لابن السراج، وكتاب شرح الألف واللام للمازنيّ، وكتاب شرح مختصر الجرميّ، وكتاب إعجاز القرآن، وكتاب شرح الأصول لابن السراج، وكتاب شرح سيبويه، وكتاب المسائل المفردات من كتاب سيبويه، وكتاب شرح المدخل للمبرد، وكتاب التصريف، وكتاب الهجاء، وكتاب الإيجاز في النحو، وكتاب الاشتقاق الكبير، وكتاب الاشتقاق الصغير، وكتاب الألفات في القرآن، وكتاب شرح المقتضب، وكتاب شرح معاني الزجاج.

وكتاب الرسائل في الكلام، وكتاب القياس، وكتاب مسائل أبي العلاء، وكتاب مبادئ العلوم، وكتاب المباحث، وكتاب المعرفة، وكتاب صغير في الصفات، وكتاب العلوم، وكتاب الأوامر، وكتاب الأسماء والصفات.

ومن كتب الكلام: كتاب صنعة الاستدلال، يشتمل على سبعة كتب، وكتاب الأسماء والصفات لله عز وجل، وكتاب ما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز، وكتاب الرويّة في النقض على الأشعري.

وفاتــه:

توفي ـ يرحمه الله ـ فِي ليلة الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وله ثمانٍ وثمانون سنة.

22. الزبيديّ

وَاحِد عصره فِي علم النَّحْو، وَحفظ اللُّغَة، أحفظ أهل زَمَانه للإعراب وَالْفِقْه واللغة والمعاني والنوادر، إنه مُحَمَّد بن الْحسن بن عبد الله بن مذْحج بن مُحَمَّد ابْن عبد الله بن بشر أَبُو بكر الزبيدِيّ الإشبيلي النَّحْوِيّ، سكن قرطبة من بلاد الأندلس، والزبيدي نِسْبَة إِلَى زبيد بن صَعب بن سعد الْعَشِيرَة؛ رَهْط عَمْرو بن معدي كرب.

أساتذته وتلاميذه:

أَخذ الزبيدي الْعَرَبيَّة عَن أبي عَليّ القالي، وَأبي عبد الله الرباحي، وسَمع من قاسم بن أصبغ، وسعيد بن فحلون، وأحمد بن سعيد، وأبي علي البغدادي، وأكثر عنه، ولازمه.

وقد روى عَنهُ وَلَدُهُ؛ أَبُو الوَلِيْدِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ، وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدٍ الأَفلِيْلِيُّ، وَوَلَدُهُ الآخَرُ؛ أَبُو القَاسِمِ أَحْمَدُ الأَدِيبُ قَاضِي إِشْبِيْلِيَّةَ.

مكانته العلمية:

كان الزبيدي متفننًا فقيهًا أديبًا شاعرًا، قال ابن عفيف: كان الزبيدي . مع أدبه ـ من أهل الحفظ للفقه، والرواية للحديث، تفقه عند اللؤلؤي، وابن القوطية، وغلب عليه الأدب، وعلم لسان العرب، فنهض به، وصنّف فيه، وكان ابن زرب يقدمه ويعظمه ويزوره.

استأدبه الخليفة، الحكم لابنه هشام، فكان الذي علمه الحساب والعربية ونفعه نفعا كثيرًا، ونال أبو بكر الزبيدي منه دينًا عريضة، وتولى قضاء إشبيلية وخطة الشرطة، وحصل نعمة ضخمة لبسها بنوه من بعده زمانا، وكان يستعظم أدب المؤيد بالله أيام صباه ويصف رجاحته وحجاه، ويزعم أنه لم يجالس قط من أبناء العظماء من أهل بيته وغيره في مثل سنة أذكى منه ولا أحضر يقظة وألطف حسًا وأرزن حلمًا.

قال ابن الفرضي: كان واحد عصره في علم النحو، وحفظ اللغة. وقال ابن حيان في هذا الباب: لم يكن له نظير في الأندلس، مع افتنان في علوم كثيرة، من فقه وحديث، وفضل واستقامة. وقال القاضي أبو عمر ابن الحذّاء: لم ترَ عيني مثله في علمه، وأدبه. وقال غيره: وكان ابن أبي عامر يثق به في لقائه الخليفة هشام.

وقَالَ عنه ابْنُ خَلِّكَانَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَحفظِ اللُّغَةِ، وَكَانَ أَخْبَرَ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالإِعْرَابِ وَالمَعَانِي وَالنَّوَادِرِ إِلَى عِلْمِ السِّيَرِ وَالأَخْبَارِ، ولَمْ يَكُنْ بِالأَنْدَلُسِ فِي فَنِّه مِثْلُهُ فِي زَمَانِهِ، وَلَهُ كُتُبٌ تَدُلُّ عَلَى عِلمِه.

مصنفاتــه:

ترك الزبيدي مجموعة من التصانيف منها: كتاب "مختصر العين"، وكتاب "الانتصار" على من آخذ عليه في "مختصر العين"، وكتاب في "أبنية سيبويه" وشرحها والزيادة فيها، وكتاب "لحن العامَّة"،

وكتاب "الواضح" في النحو، وكتاب "طَبَقَات النَّحْوِيين واللغويين" فِي الأندلس والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤَلِي إِلَى زمن عبد الله الريَاحي النَّحْوِيّ معلم الزبيدِيّ، وَله كتاب الرَّد على ابْن مَسَرَّة وَأهل مقَالَته سَمَّاهُ: "هتك ستور الْمُلْحِدِينَ".

وفاتــه:

توفي ـ يرحمه الله ـ يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة بإشبيلية، ودفن ذلك اليوم بعد صلاة الظهر، وصلى عليه ابنه أحمد، وعاش ثلاثا وستين سنة، رحمه الله تعالى.

23. الزَّجَّاج

عالم باللغة والنحو والتفسير، كَانَ من أهل الدّين وَالْفضل، حسن الِاعْتِقَاد، جميل الْمَذْهَب، إنه إِبْرَاهِيم بن السّري بن سهل أَبُو إِسْحَاق الزّجاج النَّحْوِيّ.

كان في فتوته يخرط الزجاج ومن هنا جاء نسبه، لكن نفسه اشتهت النحو فعلَّمه المبرد، وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبًا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولّي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كُتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة، ثُمَّ كَانَ مِنْ نُدَمَاءِ الْمُعْتَضِدِ.

وهو من أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، وقد أخذ الأدب عنه وعن ثعلب، وَهُوَ أستاذ أبي عَليّ الْفَارِسِي.

مكانته عند أستاذه:

روى ياقوت الحموي عن أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي، قال: قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج: أتيت أبا العباس ابن يزيد المبرد حين دخل بغداد لأقرأ عليه الكتاب ـ يعني كتاب سيبويه ـ فقال لي: ما صنعتك؟ فقلت: زجَّاج، فقال لي: كم تكسب في كلّ يوم؟ قلت: عشرة فما دونها، قال: جِئ كلّ يوم بنصف ما تعمل فتطرحه في هذا الصندوق، وكان عنده صندوق معمول لهذا. قال: فبدأت بقراءة الكتاب، وكلما جئت بشيء طرحته في الصندوق، ولما فرغت من الكتاب وختمته رمى بمفتاح الصندوق إليّ، وقال لي: افتح وخذ ما تركت فيه، ففتحت وأخذت جميع ما فيه وكان قد اجتمع شيئًا كثيرا كبيرًا، فرحم الله أبا العباس، فلقد آساني وأغناني وعلمني.

وهناك رواية أخري تدلل على مكانة الزجاج عند أستاذه المبرد ونصُّها: روى أبو سليمان الخطابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي قال: كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول: إن كان فيكم أبو إسحاق الزجَّاج وإلا انصرفوا، فحضروا مرة ولم يكن الزجاج معهم؛ فقال لهم ذلك فانصرفوا، وثبت رجل منهم يقال له عثمان، فقال للآذن: قل لأبي العباس: انصرف القوم كلهم إلا عثمان فإنه لم ينصرف، فعاد إليه الآذن وأخبره، فقال: قل له إن عثمان إذا كان نكرة انصرف، ونحن لا نعرفك فانصرف راشدًا.

مصنفاتـه:

ترك الشيخ مجموعة من المصنفات منها: المؤاخذات على الفصيح لثعلب، وكتاب الِاشْتِقَاق، وكتاب القوافي، وكتاب الْعرُوض، وكتاب الْفرق، وكتاب خلق الْإِنْسَان، وكتاب خلق الْفرس، وكتاب مُخْتَصر فِي النَّحْو، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب مَا ينْصَرف وَمَا لَا ينْصَرف، وكتاب شرح أَبْيَات سِيبَوَيْهِ، وكتاب النَّوَادِر، وكتاب مَعَاني الْقُرْآن، وكتاب مَا فسر من جَامع الْمنطق، وكتاب الأنواء.

وفاتـه:

توفي . يرحمه الله . سنة فِي جُمَادَى الْآخِرَة سنة إِحْدَى عشرَة وثلثمائة، وَسُئِلَ عَن سنه عِنْد الْوَفَاة، فعقد سبعين، وَكَان آخر مَا سمع مِنْهُ: اللَّهُمَّ احشرني على مَذْهَب أَحْمد بن حَنْبَل؛ رَضِي الله عَنْهُمَا.

24. الزَّمَخْشَرِيُّ

الْعَلَّامَةُ الْخُوَارِزْمِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّمَخْشَرِيُّ، أَحَدُ أَفْرَادِ الدَّهْرِ فِي عُلُومٍ مُتَنَوّعَةٍ وَفُنُونٍ مُخْتَلِفَةٍ وَبِالْخَصُوصِ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ.

كان مِيلَادِه فَي شَهْرُ رَجَب فِي عَامِ سَبْعَة وَسِتّينَ وَأَرْبع مئة بِقَرْيَةٍ مَجْهُولَةٍ مِنْ قُرَى خُوَارِزْمَ تُسَمَّى (زَمَخْشَرُ)، سافر الشيخ إلى مكة . حرسها الله

تعالى . وجاور بها زمانًا، فصار يقال له "جار الله " لذلك، وتوفي بقصبة خوارزم، ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

مكانته العلمية:

أفرغ الزمخشري شطرًا كبيرًا من حياته للعلم والتأليف، وابتعد عن كل مشغلة تصرفه عن هذا الهدف، فقد اعتزل النساء ونسلهن، واتجهت طاقته للعلم يأخذ منه مستفيدًا ويعطي الناس مفيدًا، فدرس الكلام وعلوم الحديث والتفسير وأدواته واللغة والنحو والأدب وفنونه.

وهكذا ألمَّ بثقافة واسعة المدى مكنته بعد أنْ انقطع للعلم وأخلص له . أن يجلَّ فيه، ويذيع فضله بين الناس حتى أثنى عليه العلماء كلهم ممن ترجموا له كما سنرى.

تبوأ الشيخ مكانة رفيعة بين علماء عصره إذ برع في علوم كثيرة، فقد كَانَ رَأْسًا فِي البلاغَةِ وَالعَرَبِيَّةِ وَالمَعَانِي وَالبيَانِ، قال عنه ابن السَّمْعانيّ: كان ممّن برع في علم الأدب، والنَّحْو، واللّغة، لقي الكبار، وصنَّف التّصانيف في التّفسير، والغريب، والنَّحْو، وورد بغداد غير مرَّة، ودخل خُراسان عدَّة نُوَب، وما دخل بلدًا إلّا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علّامة الأدب، ونسّابة العرب، أقام بخُوَارَزْم تُضْرَب إليه أكباد الإبل، ثمّ خرج منها إلى الحجّ.

وقد رأى أحد الباحثين من خلال دراسته لكشاف الزمخشري أن الرجل كان له منهجه الخاص في تحليل الظواهر النحوية واللغوية مما

يشهد بتفرده، ومن بين مرتكزات هذا المنهج إحياؤه منهج النحاة في النظر في القراءات القرآنية ونقدها، والترجيح بينها.

كانت سيرة الزمخشري العلمية قد سبقته قبل قدومه للحج، وقد ذكرت عدة تراجم كيف استقبله النحوي الشهير أبو السعادات بن الشجري كما يروي الصفدي في الوافي نقلا عن ابن الأنباري في مناقب الأدباء: أنّ الْعَلامَة أَبَا الْقَاسِم مَحْمُود الزَّمَخْشَرِيّ لما قدِم بَغْدَاد قصد الحجّ فِي بعض أَسْفَاره مضى إِلَى زِيَارَته شَيخنَا أبي السعادات بن الشجري، ومضينا إِلَيْهِ

مَعَه فلمّا اجْتمع بِهِ أنْشدهُ قَول المتنبّي:

وأستكبر الْأَخْبَار قبل لِقَائِه *** فَلَمَّا الْتَقَيْنَا صَغّرَ الخبرَ الخُبرُ

ثمَّ أنْشدهُ بعد ذَلِك:

كَانَت مُساءَلة الرّكبان تُخبِرني *** عَن جَعْفَر بن فلاح أحسن الخبرِ

ثمَّ الْتَقَيْنَا فَلَا وَالله مَا سمعَت *** أُذني بأحسنَ ممّا قد رأى بَصَري

وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنطقِ الزَّمَخْشَرِيُّ حَتَّى فَرغَ أَبُو السَّعَادَاتِ، فَتَصَاغرَ لَهُ، وَعظَّمَهُ، وقَالَ الْعَلامَة الزَّمَخْشَرِيّ: رُوي عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ . لمّا قدِم عَلَيْهِ زيد الْخَيل . يَا زيد، مَا وُصِف لي أحدٌ فِي الْجَاهِلِيَّة فرأيته فِي الْإِسْلَام إِلَّا رَأَيْته دون مَا وُصف لي غَيْرك،

قَالَ: فخرجنا من عِنْده وَنحن نعجب كَيفَ يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بِالْحَدِيثِ وَهُوَ رجل أعجمي.

قال السيوطي عنه: كَانَ وَاسعَ الْعلم، كثير الْفضل، غَايَة فِي الذكاء وجودة القريحة، متفنّنًا فِي كل علم، معتزليًا قَوِيًا فِي مذْهبه، مجاهرًا بِهِ حنفيًا، وَورد بَغْدَاد غير مرّة، وَأخذ الْأَدَب عَن أبي الْحسن عَليّ بن المظفر النَّيْسَابُورِي وَأبي مُضر الْأَصْبَهَانِيّ، وَسمع من أبي سعد الشفاني، وَشَيخ الْإِسْلَام أبي مَنْصُور الْحَارِثِيّ وَجَمَاعَة، وتلقب بجار الله وفخر خوارزم أَيْضا،

رَوَى عَنْهُ بِالإِجَازَةِ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ، وَزَيْنَبُ بنت الشعري، وَرَوَى عَنْهُ أَنَاشيدَ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ الخوارزمي، وأبو سعد أحمد ابن مَحْمُوْدٍ الشَّاشِيُّ، وَغَيْرُهُمَا.

وقد شهد له بالتفرد والبراعة حتى منْ اختلف معه في مذهبه، قال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: وقد كان الزمخشري في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصرف الكلام، وكتابه أساس البلاغة من أحاسن الكتب، وقد أجاد فيه وبين الحقيقة من المجاز في الألفاظ المستعملة إفرادًا وتركيبًا، وكتابه الفائق في غريب الحديث من أنفس الكتب لجمعه المتفرق في مكان واحد مع حسن الاختصار وصحة النقل، وله كتاب الفصل في النحو مشهور، ورأيت له مصنفًا في المشتبه في مجلد واحد وفيه فوائد جليلة.

كوَّن الزمخشري مدرسة علمية ينشر فيها علمه، تلمذ له فيها جماعة رووا عنه وأخذوا العلم عنه، كما طلب الإجازة والرواية من الزمخشري جماعة من العلماء منهم العالمة الشهيرة زينب بنت الشعري (ت 615هـ)، والحافظ أبو طاهر السلفي.

أخلاقــه:

عاش الزمخشري حياته التي استمرت واحدًا وسبعين سنة متنقلا ما بين الحواضر العلمية في عصره فقد تلقي أول علومه في بلدته زمخشر، ثم رحل إلى بخارى وخراسان، ثم بغداد، ثم كان أنْ اتجه إلى مكة، وجاور بها زمانًا، فصار يقال له "جار الله" لذلك، وصار هذا الاسم علمًا عليه.

وقد جمع الله للزمخشري مناقب العلوم كلها، وكان في الحادي والأربعين من عمره ينادم الوزراء والملوك ويمدحهم، ويتنعم في الدنيا، إلى أن أراه الله رؤياه كانت سبب انقطاعه منهم، وإقباله على أمر دينه. وكانت سبب إنابته وتوبته، وكان من الورع وقيام الليل وتدريس العلم في الرتبة العليا، وقف بعرفة سبع مرات، وحط في البلد الحرام خمس سنين.

ولم تذكر المصادر التي ترجمت للزمخشري عن أخلاقه ما يشينه، خاصة في علاقته مع أساتذته ووفائه لهم، خاصة أستاذه أبو مضر محمود بن جرير الضبي الأصفهاني المتوفى سنة 507، والذي تعهده

بعلمه ورعاه بماله؛ مما جعل التلميذ محبًا لأستاذه موقرًا له، ولما مات رثاه بقوله:

وقائلةٍ: مَـا هَـذِهِ الـدُّرَرُ الَّتِي
تُسَاقِطُهَا عينـَاك سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ
فَقُلْتُ: هُي الدُّرُّ الَّذِي قَدْ حشَا بِهِ
أَبُو مُضَرٍ أُذْني تَسَاقَطَ مِنْ عيني

وكان للبيئة العامة والبيئة الخاصة التي نشأ فيها الزمخشري أثرها العظيم فيما اتصف به من التدين والصلاح، إذ كان لانتشار مدارس الحديث، والمجالس التي يعمرها القراء والفقهاء وأهل الخير والصلاح واهتمام أولي الأمر بذلك وتقديرهم للعلماء . أثره البين في تنشئة الشيخ، أما عن البيئة الخاصة فقد رزق الزمخشري بوالد عالم ورع صوام قوام، أشاد بهذا شعرا فقال:

فقدته فاضلا فاضت مآثرُهُ
العلمُ والأدبُ المأثورُ والورعُ
أخا طباعٍ مُصفّاةٍ مناسبهِ
ماءَ السحابةِ ما في بعضها طَبَعُ
صامَ النهار، وقام الليلَ، وهو شجٍ
من خشية الله كَابِي اللون مُمتقعُ

وهو لم يذق الخمر، ولا أحد من أسرته، والناس شهود على ذلك، يقول يرحمه الله مفتخرًا بذلك:

هات التي شُبِّهَتْ ظلمًا بشمس ضُحَى
لـو عارضـتْها لَغَطَّتْهَا بإشـراقِ
ناريَّـةُ النَّـعْتِ، إلا أنـها عدلَـت
نارُ الخليلِ، فلم تهمُمْ بإحـراقِ
أستغـفرُ اللهَ أني قد نسبتُ بـها
ولم ألُكُ بحُمـيّاهـا بـذواقِ
ولم يذقـها أبي، كـلا ولا أحـدٌ
من أسرتي، واتفاقُ الناسِ مصداقِ

ولا يخلو كتاب من كتبه من دلائل تقواه، وحضه على الطاعة والعبادة نفسه وسواه، وكلفه بالحكمة والموعظة التي تهذب الأخلاق وتسمو بالنفوس.

مذهبه الاعتزالي ومحاولات التشويه:

حظي الزمخشري من العلماء معاصريه وخلفائه بالذكر الحسن والثناء العظيم، ولم يأخذ بعضهم عليه إلا مذهب الاعتزال إذ قال عنه بن حجر في لسان الميزان: "محمود" بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله، فكن حذرًا من كشافه.

وقال ابن خلكان: كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد متظاهرًا به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبًا له واستأذن عليه في الدخول، يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب، وأول ما صنف

كتاب " الكشاف"، كتب استفتاح الخطبة: "الحمد لله الذي خلق القرآن"، فيقال إنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه، فغيره بقوله "الحمد لله الذي جعل القرآن"، وجعل عندهم بمعنى خلق، والبحث في ذلك يطول، ورأيت في كثير من النسخ " الحمد لله الذي أنزل القرآن " وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف.

ويعلق الدكتور أحمد الحوفي على ما جاء عند ابن خلكان: أن هذه دعوى لا صحة لها، لأن الزمخشري لم يكن ليفر من التعبير بأنزل وهو يعلم أن القرآن الكريم يردد هذا التعبير في كثير من سوره، مثل قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ" آل عمران:7، وقوله: " وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا " النساء: ١١٣، وقوله: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ " الأنعام:91.

وعرض الدكتور الحوفي لتعليق الفيروزأبادي صاحب القاموس على ما قيل إنّ التغيير المشار إليه كان من الزمخشري حذرًا عن الشناعة الواضحة . أن هذا القول ساقط جدًا، وقد عرضته على أستاذي فأنكره غاية الإنكار، وأشار إلى أن هذا القول بمعزل عن الصواب لوجهين: أحدهما: أن الزمخشري لم يكن أهلا لأن تفوته اللطائف المذكورة في أنزل وفي نزَّل في مفتتح كلامه، ووضع كلمة خالية

من ذلك، والثاني: أنه لم يكن يأنف من انتمائه إلى الاعتزال، وإنما كان يفتخر بذلك.

وبعد أن أشاد ابن حجر العسقلاني بمصنفات الشيخ عمد إلى الحديث عن كتاب الكشاف، فلم يرفضه كله، ولم يمنع القارئ من قراءته أو يجرمه، بل رأي أن من رسخت قدمه في السنة فلا ضرر عليه من قراءته، وهاكم نص كلام العسقلاني: وأما التفسير فقد أولع الناس به وبحثوا عليه وبينوا دسائسه وأفردوها بالتصنيف، ومن رسخت قدمه في السنة وقرأ طرفًا من اختلاف المقالات انتفع بتفسيره ولم يضره ما يخشى من دسائسه.

وكلام ابن حجر هنا واضح جدًا، لكنْ أن نرفض الرجل رفضًا تامًا، ونلقي بكل ما كتب وصنف وأبدع في البحر! فهذا ما لا يقول به عاقل، ولا يرضاه مُنصف، إن منجزات الشيخ في المكتبة العربية الإسلامية ركن ركين لن يملأه أحد، وقد كانت لمصنفات البديعة في اللغة والأدب والبلاغة أثرها في كل من جاء بعده، وفي مسيرة البحث والدرس اللغوي والبلاغي في الدراسات القرآنية والعربية، ولا زالت البحوث والدراسات العلمية والمؤتمرات تتناول أعماله بالتحليل والدراسة.

مصنفاته:

صنف الشيخ التصانيف البديعة في فنون كثيرة، منها: "الكشاف" في تفسير القرآن العزيز، لم يصنف قبله مثله، و"المحاجاة بالمسائل

النحوية"، و"المفرد والمركب" في العربية، و"الفائق" في تفسير الحديث، و"أساس البلاغة" في اللغة، و"ربيع الأبرار وفصوص الأحبار"، و"متشابه أسامي الرواة"، و"النصائح الكبار"، و"النصائح الصغار"، و"ضالة الناشد والرائض في علم الفرائض"، و"المفصل في النحو" وقد اعتنى بشرحه خلق كثير، و"الأنموذج" في النحو، و"المفرد والمؤلف" في النحو، و"رؤوس المسائل" في الفقه، و"شرح أبيات وكتاب سيبويه"، و"المستقصى في أمثال العرب"، و"صميم العربية"، و"سوائر الأمثال"، و"شافي العي من كلام الشافعي" رضي الله عنه، و"القسطاس" في العروض، و"معجم الحدود"، و"المنهاج" في الأصول، و"مقدمة الآداب"، و"ديوان الرسائل"، و"ديوان الشعر"، و"الرسالة الناصحة"، والأمالي في كل فن، وغير ذلك.

25. السِّجِسْتَانِيُّ

الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَبُو حَاتِمٍ، سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ، السِّجِسْتَانِيُّ ثُمَّ الْبَصْرِيُّ، الْمُقْرِئُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ.

أصلهم من (تستر) تَجَرُوا إلى سجستان وكرمان فأصابوا مالا ثم استوطنوا سجستان فرأسوا أهلها بالمال، وكان أبو حاتم يؤم الناس بمسجد الجامع بالبصرة، ويقرأ الكتب على المنبر. وكان حسن الصوت جهيرًا حافظًا للقرآن والقراءات والعروض والتفسير.

أساتذتـه:

أَخَذَ العلم عَنْ: يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ، وَوَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْمُثَنَّى، وَأَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَامِرٍ الْعَقَدِيِّ، وَالْأَصْمَعِيِّ، وَيَعْقُوبَ الْحَضْرَمِيِّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَتَصَدَّرَ لِلْإِقْرَاءِ وَالْحَدِيثِ وَالْعَرَبِيَّةِ.

تلاميـذه:

وممن حَدَّثَ عَنْه: أَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيُّ فِي كتابيْهِمَا، وَأَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ فِي "مُسْنَدِهِ"، وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الرُّوَيَانِيُّ، وَابْنُ صَاعِدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ، وَأَبُو رَوْقٍ الْهِزَّانِيُّ، وَعَدَدٌ كَثِيرٌ، وَتَخَرَّجَ بِهِ أَئِمَّةٌ، مِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ.

مكانته العلمية:

كَانَ أبو حاتم جَمَّاعَةً لِلْكُتُبِ يَتَّجِرُ فِيهَا، وَلَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي اللُّغَاتِ وَالشِّعْرِ، وَالْعَرُوضِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْمُغَمَّى، وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ بَاهِرًا بِالنَّحْوِ، وَكَانَ يَقُولُ: قَرَأْتُ "كتاب سِيبَوَيْهِ" عَلَى الْأَخْفَشِ مَرَّتَيْنِ، وكان إذا التقى هو وأبو عثمان المازني تشاغل أو بادر خوفًا من أن يسأله عن النحو.

وكان يقال: لأهل البصرة ثلاثة كتب يفتخرون بها على أهل الأرض: كتاب النحو لسيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب أبي حاتم في القراءات.

وقد خلف أبو أبي حاتم مائة ألف دينار عينًا غير الضياع والمنازل، فأنفقها أبو حاتم في طلب العلم وعلى العلماء، ولما مات أبو حاتم بلغت

قيمة كتبه أربعة عشر ألف دينار فوجه يعقوب بن الليث الخارجي بسجستان من اشتراها ونقلت إليه.

مصنفاتــه:

ترك السجستاني عددًا من المصنفات، منها: كتاب ما تلحن فيه العامة، وكتاب في النحو على مذهب سيبويه والأخفش، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الشجر والنبات، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المقاطع والمبادي، وكتاب الفرق، وكتاب القراءات، وكتاب الفصاحة، وكتاب النخلة، وكتاب الأضداد، وكتاب القسيّ والنبال، وكتاب السيوف والرماح، وكتاب الوحوش، وكتاب الحرار، وكتاب الهجاء، وكتاب الزرع، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الإدغام، وكتاب النحل والعسل، وكتاب الإبل، وكتاب الكرم، وكتاب الشتاء والصيف، وكتاب اللبأ واللبن والحليب، وكتاب الشوق إلى الوطن، وكتاب الخصب والقحط، وكتاب اختلاف المصاحف، وكتاب الجراد، وكتاب الحر والبرد والقمر والليل والنهار، وكتاب الفرق بين الآدميين وبين كل ذي روح، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الطير.

وفاتــه:

عَاشَ السجستاني نحوا من ثَلَاث وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَمَاتَ ـ يرحمه الله ـ فِي آخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ.

26. اِبْنِ السِّكّيْت

شَيْخُ العَرَبِيَّةِ، أَبُو يُوْسُفَ يَعْقُوْبُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ السِّكِّيْتِ البَغْدَادِيُّ النَّحْوِيُّ المُؤَدِّبُ مُؤلِفُ كتاب "إصْلاَحِ المَنْطِقِ"، دَيِّنٌ خَيِّرٌ، حُجَّةٌ فِي العَرَبِيَّةِ.

أصله من دورق بالأهواز، ويظن أنه ولد ببغداد، وبها تعلم، ورحل إلى البادية، أدب أبناء العامة ببغداد. والسكيت لقب أبيه؛ حيث كان أبوه رجلا صالحًا من أصحاب الكسائي عالمًا بالعربية واللغة والشعر، وَكَانَ مُؤَدِّباً، وإذ ذاك تَعَلَّمَ يَعْقُوْبُ، وَبَرَعَ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وصار كأبيه فأَدَّبَ أَوْلاَدَ الأَمِيْر محمد بن عبد الله بن طاهر، ثم ارْتَفَعَ مَحَلُّهُ، وَأَدَّبَ وَلَدَ المُتَوَكِّلِ.

حكى الشيخ عن: أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني، ومحمّد ابن المهنا، ومحمّد بن صبح بن السماك الواعظ، وحكى عنه: أحمد بن فرج المقرئ، ومحمّد بن عجلان الإخباري، وأبو عكرمة الضبي، وأبو سعيد السكري، وميمون بن هارون الكاتب، وعبد الله بن محمّد بن رستم.

مكانته العلمية:

رَوَى أَبُو عُمَرَ، عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ: مَا عَرَفْنَا لاِبْنِ السِّكِّيْتِ خَرْبَةٌ قَطُّ، وَقِيْلَ: إِنَّهُ أَدَّبَ مَعَ أَبِيْهِ الصِّبْيَانَ، وقَالَ ثَعْلَبٌ أيضًا: أَجْمَعُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ أَعْلَمَ بِاللُّغَةِ مِن ابْنِ السِّكِّيْتِ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ نَفَاذٌ فِي النَّحْوِ، وَكَانَ يَتَشَيَّعُ، وكان يتصرف في أنواع العلوم. وَقِيْلَ: كَانَ

إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي اللُّغَةِ، وَله شِعْرٌ جَيِّدٌ. قال أبو عبد الله المرزبانيّ: كان عالما بالنّحو، نحو الكوفيين وعلم القرآن واللّغة والشعر، رواية، ثقة.

وقيل: كان يعقوب في صناعة النحو ذا بضاعة مزجاة نزرة، وقد صنف مع هذا في النحو كتابًا مختصرًا لم يعد فيه القدر الذي تناله يده، وإن كان إمامًا عالمًا في اللغة، وقدوة سابقًا مبرّزًا في اختلاف أهلها مع البصريين والكوفيين، وله فيها كتب مؤلفة حسنة، وأنواع مصنفة مفيدة.

مصنفاتـه:

صنف ابن السكيت في فنون مختلفة ومن ذلك: كتاب إصلاح المنطق، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب النوادر، وكتاب الألفاظ، وكتاب فعل وأفعل، وكتاب الأضداد، وكتاب الأجناس الكبير، وكتاب الفرق، وكتاب الأمثال، وكتاب البحث، وكتاب الزبرج، وكتاب الإبل، وكتاب السرج واللجام، وكتاب الوحوش، وكتاب الحشرات، وكتاب النبات والشجر، وكتاب الأيام والليالي، وكتاب سرقات الشعراء وما تواردوا عليه، وكتاب معاني الشعر الكبير، وكتاب معاني الشعر الصغير، وغير ذلك.

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: ما رأيت للبغداديين كتابًا خيرًا من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق.

وفاتـه:

توفي يعقوب سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وكان ذلك في خلافة المتوكل، وقيل في سبب وفاته: إن المتوكل قتله، حيث أمره بشتم رجل من قريش فلم يفعل، وأمر القرشي أن ينال منه، فأجابه يعقوب، فلما أن أجابه قال له المتوكل: أمرتك أن تفعل فلم تفعل، فلما شتمك فعلت! وأمر بضربه، فحمل من عنده صريعًا مقتولاً.

27. السُّهَيْلِيُّ

عَبْد الرَّحْمَن بن عبد اللَّه بن أحمد بن أصبغ بْن الْحُسَيْن بْن سعدون بْن رضوان بْن فتُّوح، الْإِمَام الحَبْر أَبُو القاسم، وأَبُو زَيْد، ويُقَالُ أيضًا: أَبُو الْحَسَن ابن الخطيب أَبِي محمد ابن الخطيب أبي عمر بي أَبِي الْحَسَن الخثْعميّ السُّهيلي الأندلسيّ المالقيّ، النَّحْويّ، الحافظ، صاحب المصنَّفات، كان مولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة.

أساتذتـه:

أَخَذَ القراءات عَنْ سُلَيْمَان بْن يَحْيَى، وبعضها عَنْ أَبِي علي مَنْصُور بْن الخيّر، وسمع أَبَا عَبْد اللَّه المعمر، وأبا بكر ابن العربي، وأبا عبد الله بن مكي، وأبا عبد الله بن نجاح الذَّهبي، وجماعة، وأجاز له أبو عبد الله ابن أخت غانم، وغيره، وناظرَ على أبي الحسين ابن

الطَّراوة في " كتاب سيبويه" وسمع منه كثيرًا من كتب اللغة والآداب، وكفَّ بصرُه وَهُوَ ابن سبْع عشرةَ سنة.

مكانته العلمية:

كَانَ السهيلي عَالما بِالْعَرَبِيَّةِ واللغة والقراءات والغريب بارعًا فِي ذَلِك، تصدر للإقراء والتدريس والْحَدِيث، وَبعد صيته وَجلّ قدره، جمع بَين الرِّوَايَة والدراية، وحمل النّاس عَنْهُ، وبعد تصنيفه لكتاب "الروض الأنُف" فِي شرح "السيرة" لابن إِسْحَاق، دلالة عَلَى تبحُّره وبراعته، وَقَدْ ذكَرَ فِي آخره أَنَّهُ استخرجه من نيفٍ وعشرين ومائة ديوان، كَانَ ببلده يتسوَّغ بالعفاف، ويتبلَّغ بالكفاف، حَتَّى نمي خبره إلى صاحب مَرّاكُش، فطلبه وأحسن إِلَيْهِ، وأقبل عليه، وأقام بها نحوًا من ثلاثة أعوام.

تصانيفه:

لما كان الإمام السهيلي حافظًا، فقيهًا، أصوليًا، متكلمًا، وكان عالمًا بالقراءات والتفسير والنحو، أي: كان موسوعيًا؛ لذا نجدُ تصانيفه في شتى الفنون، ومختلف المعارف الإسلامية، ومن أهم تلكم الكتب في اللغة والنحو والشعر: نتائج الفكر في علل النحو، وشرح الجمل للزجاجي(لم يتمه)، والقصيدة العينية، وفي الفقه له كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية، ومسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ومسألة السّرّ في عور الدجال. وفي السيرة له كتابه الشهير: الروض الأنف، والمنهل الروي في ذكر ما حدث عن رسول الله وروى، وفي مبهم القرآن: كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن

من الأسماء الأعلام، وله كتب أخرى، مثل: الأمالي في النحو واللغة والفقه والحديث، وقصة يوسف عليه السلام، وحلية النبيل في معارضة ما في السبيل.

وفاتـه:

كانت وفاته ـ يرحمه الله ـ بمراكش يوم الخميس، في السادس والعشرون من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

28. سِيبَوَيه

ما إن يذكر النحو العربي إلا ويذكر سفره العظيم **الكتاب** (قرآن النحو)، وصاحبه الملقب سيبويه، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي، أما عن لقب سِيبَوَيْهِ، وَمَعْنَاهُ رَائِحَة التفاح؛ فَقيل: كَانَت أمه ترقصه بذلك فِي صغره، وَقيل: كَانَ من يلقاه لَا يزَال يشم مِنْهُ رَائِحَة الطّيب، فَسُمي بذلك، وَقيل: كَانَ يعْتَاد شم التفاح، وَقيل: لقب بذلك للطافته؛ لِأَن التفاح من أطيب الْفَوَاكِه.

سبب طلبه للنحو:

روي السيرافي كَانَ سِيبَوَيْهِ يستملي عَلَيْ حَمَّاد بن سَلمَة شَيخ أهل الْبَصْرَة فِي الْعَرَبيَّة يَوْمًا، فَقَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "مَا أحد من أَصْحَابِي إِلَّا وَقد أخذت عَلَيْهِ لَيْسَ أَبَا الدَّرْدَاء "، فَقَالَ

سِيبَوَيْهِ: " لَيْسَ أَبُو الدَّرْدَاء"، فَقَالَ حَمَّاد: لحنت يَا سِيبَوَيْهِ، فَقَالَ: لَا جرم؛ لأطلبن علما لَا تلحنني فِيهِ أبدًا، ثمَّ لزم الْخَلِيل.

مكانته العلمية:

قَالَ الْأَزْهَرِي: كَانَ سِيبَوَيْهِ عَلامَة، حسن التصنيف، جَالس الْخَلِيل وَأخذ عَنهُ؛ وَمَا علمت أحدًا سمع مِنْهُ كتابه؛ لِأَنَّهُ احْتضرَ، وَقد نظرت فِي كتابه، فَرَأَيْت فِيهِ علما جمًا.

وَكَانَ الْمبرد يَقُول لمن أَرَادَ أَن يقْرَأ عَلَيْهِ كتاب سِيبَوَيْهِ: هَل ركبت الْبَحْر؟ تَعْظِيمًا واستصعابا لما فِيهِ، وَقَالَ بَعضهم: كنت عِنْد الْخَلِيل، فَأقبل سِيبَوَيْهِ، فَقَالَ: مرْحَبًا بزائر لَا يمل؛ قَالَ: وَمَا سَمِعت الْخَلِيل يَقُولهَا لغيره.

الكتاب:

احتل كتاب سيبويه مكانة مرموقة في الدرس اللغوي، وعكف كثير من العلماء في القديم والحديث على دراسته، وشرحه، والتعليق عليه، وقد وصل عدد المصنفات التي عكف أصحابها على تخصيصها لشرح شواهده الشعرية ثمانية عشر مصنفًا.

وقد بلغ الكتاب مكانة عظيمة جعلت من المؤرخين من يعتبره ثالث ثلاثة كتب لم يعرف التاريخ الآدمي مثلها، قال: "لا يعرف كتاب ألف فِي علم من العلوم قديمها وحديثها، فاشتمل عَلَى جميع ذَلِكَ العلم وأحاط بأجزاء ذَلِكَ الفن غير ثلاثة كتب: أحدها كتاب المجسطي فِي علم هيئة الفلك وحركات النجوم، والثاني كتاب أرسطوطاليس فِي

علم صناعة المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري فِي علم النحو العربي.

مناظرته مع الكسائي:

ورد سِيبَوَيْهِ بَغْدَادَ على يحيى الْبَرْمَكِي، فَجمع بَينه وَبَين الْكسَائي للمناظرة، فَقَالَ لَهُ: كَيفَ تَقول: قد كنت أَظن أَن الْعَقْرَب أَشد لسعة من الزنبور؛ فَإِذا هُوَ هِيَ؛ أَو هُوَ إِيَّاهَا؟ فَقَالَ سِيبَوَيْهِ: فَإِذا هُوَ هِيَ، وَلَا يجوز النصب، فَقَالَ الْكسَائي: أَخْطَأت الْعَرَب ترفع ذَلِك وتنصبه؛ وَجعل يُورد عَلَيْهِ أَمْثِلَة؛ من ذَلِك: خرجت فَإِذا زيد قَائِمٌ أَو قَائِما؛ وسيبويه يمْنَع النصب؛ فَقَالَ يحيى: قد اختلفتما، وأنتما رَئِيسا بلديكما، فَمن يحكم بَيْنكُمَا؟ قَالَ الْكسَائي: هَذِه الْعَرَب ببابك قد وفدوا عَلَيْك؛ وهم فصحاء النَّاس؛ فاسألهم، فَقَالَ يحيى: أنصفت، وأحضروا فسئلوا، فاتبعوا الْكسَائي، فاستكان سِيبَوَيْهِ، وَقَالَ: أَيهَا الْوَزير، سَأَلتك إِلَّا مَا أَمرتهم أَن ينطقوا بذلك؛ فَإِن ألسنتهم لَا تجْرِي عَلَيْهِ؛ وَكَانُوا إِنَّمَا قَالُوا: الصَّوَاب مَا قَالَه هَذَا الشَّيْخ؛ فَقَالَ الْكسَائي ليحيى: أصلح الله الْوَزير، إِنَّه قد وَفد إِلَيْك من بَلَده مؤملا؛ فَإِن رَأَيْت أَلا ترده خائبا، فَأمر لَهُ بِعشْرَة آلَاف دِرْهَم، فَخرج إِلَى فَارس.

وفاتـه:

وَلم تطل مُدَّة سِيبَوَيْهِ بعد ذَلِك؛ وَمَات بالبيضاء، وَقيل: بشيراز، وَقيل: غما بالذرب سنة ثَمَانِينَ وَمِائَة من الهجرة.

29- ابْنُ سِيْدَه

إِمَامُ اللُّغَةِ ابْن سِيّده اللّغَوِيّ عَليّ بن أَحْمد بن سِيّده أَبُو الْحسن اللّغَوِيّ الأندلسي المري الضَّرِير، صَاحِبُ كتاب "المُحْكَم" فِي لِسَانِ العَرَبِ، وَأَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بذكَائِهِ المَثَل، وكان ضريرًا، وأبوه ضريرًا، من أهل الأندلس، وكان أبوه أيضًا قيمًا بعلم اللغة، وعليه اشتغل ولده في أول أمره، لكنه كَانَ شُعُوْبِيًّا يُفَضِّلُ العَجَم عَلَى العَرَب.

لم تذكر المصادر الكثير عن أساتذته الذين تردد عليهم سوى من روي عنهم، وهما أَبِيه وَصاعد بن الْحسن الْبَغْدَادِيّ، قَالَ أَبُو عمر الطلمنكي: دخلت مرسيه فتشبث بِي أَهلهَا ليسمعوا عَليّ غَرِيب المُصَنّف، فَقلت لَهُم: انظرونا من يقْرَأ وَأَنا أمسك كتابي، فأتوني بِرَجُل أعمى يعرف بِابْن سَيّده، فقرأه عَليّ من أَوله إِلَى أَخّرهُ حفظًا من قلبه فعجبت مِنْهُ.

مكانته العلمية:

كَانَ ابْن سَيّده ثِقَة فِي اللُّغَة حجَّة فِي نَقلها وكان نادرة وقته، وله شعر جيد، قَالَ الحُمَيْدِيُّ: هو إمام في اللغة والعربية، حافظٌ لَهُمَا، عَلَى أَنَّهُ كَانَ ضرِيرًا، وَقَدْ جمع فِي ذَلِكَ جُمُوْعًا، وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ حظٌّ فِي

الشّعر وَتَصرُّف، وقال القاضي الجياني: كان مع إتقانه لعلم الأدب والعربية متوفرًا على علوم الحكمة وألف فيها تأليفات كثيرة.

ولم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بعلومها، وكان حافظًا. وقال صاحب الوافي بالوفيات: وَكَانَ مَعَ توفره على الْعَرَبِيَّة متوفرًا على عُلُوم الْحِكْمَة وَألف فِيهَا تواليف كَثِيرَة، قلت: ومن وقف على خطْبَة الْمُحكم عَلِمَ أَنه كَانَ من أَرْبَاب الْعُلُوم الْعَقْلِيَّة، وَلَيْسَت بِخطْبَة كتاب فِي اللُّغَة إِنَّمَا تصلح خطْبَة لكتاب الشِّفَاء لِابْنِ سينا.

قَالَ اليَسع بنُ حَزْم: وَحَطَّ عَلَيْهِ أَبُو زَيْد السُّهَيْلِي فِي الرَّوْض فَقَالَ: تَعَثَّرَ فِي الْمُحْكَم وَغَيْرِهِ عثرَاتٍ يَدمَى مِنْهَا الأَظَلُّ، وَيدحَضُ دَحَضَاتٍ تُخرجه إِلَى سَبِيْل مَنْ ضَلَّ حَتَّى إِنَّهُ قَالَ فِي الجمار: هي التي ترمى بعرفة. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بنُ الصَّلاَح: أَضَرَّت بِهِ ضَرَارتُهُ.

مصنفاتـه:

ترك ابن سيده في اللغة مصنفات منها: كتاب المحكم والمحيط الأعظم مرتب على حروف المعجم (اثنا عشر مجلدًا) لم يرَ مثله في فنه، ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه؛ لو حلف الحالف أنه لم يصنّف مثله لم يحنث، وكتاب المخصص مرتب على الأبواب كغريب المصنف، وكتاب شرح إصلاح المنطق، وكتاب الأنيق في شرح الحماسة (عشرة أسفار)، وكتاب العالم في اللغة على الأجناس في غاية الاستيعاب (نحو مائة سفر بدأ بالفلك وختم بالذرّة)، وكتاب العالم

والمتعلم على المسألة والجواب، وكتاب الوافي في علم أحكام القوافي، وكتاب شاذ اللغة (خمس مجلدات)، وكتاب العويص في شرح إصلاح المنطق، وكتاب شرح كتاب الأخفش... وغير ذلك.

وفاتـه:

مات ابن سيده ـ يرحمه الله ـ بالأندلس سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن ستين سنة أو نحوها.

30. السّيرافي

إِمَامُ النَّحْوِ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، العَلاَّمَةُ يوسف بن الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي: أديب لغويّ، من أهل بغداد، سكن بغداد، وكان يسكن الجانب الشرقيّ، وولى القضاء بها، وكان أبوه مجوسيًا أسلم، واسمه بهزاذ، فسماه أبو سعيد عبد الله، وقال ولده أبو محمد يوسف: أصل أبي من سيراف (وهى من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلى كرمان)، وبها وُلد وبها ابتدأ بطلب العلم، وخرج منها قبل العشرين ومضى إلى عمان وتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها عند أبي محمد ابن عمر المتكلم، وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه.

أساتذتـه:

قرأ على أبى بكر بن مجاهد القرآن، وعلى أبى بكر بن دريد اللغة، وقرأ على أبى بكر بن السراج وعلى أبى بكر المبرمان النحو.

أخلاقـه:

كان السيرافي زاهدًا لا يأكل إلا من كسب يده، ولا يخرج من بيته إلى مجلس الحكم، ولا إلى مجلس التدريس في كل يوم إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات، يأخذ أجرها عشرة دراهم، تكون قدر مؤونته، ثم يخرج إلى مجلسه، وكان يذكر عنه الاعتزال ولم يكن يظهر ذلك، وكان نزها عفيفًا، جميل الأمر، حسن الأخلاق. قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: حُدِّثْتُ عَنْ أَبِي الْحَسَن مُحَمَّد بن الْعَبَّاس بْنِ الْفُرَاتِ، قَالَ: كَانَ أَبُو سعيد السيرافي عالمًا فاضلا منقطع النظير في علم النحو خاصة.

مكانته العلمية:

كان أبو سعيد إمامًا كبير الشّأن، فقد تصدر لإقراء الْقرَاءَات والنحو واللغة وَالْفِقْه والفرائض والحساب وَالْعرُوض، وَكَانَ من أعلم النَّاس بِنَحْوِ الْبَصرِيين عَارِفًا بِفقه أبي حنيفَة، وكان يدرّس القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب، وعلومًا سوى هذه.

وكان الكرخيّ الفقيه يقدّمه ويفضّله، وعقد له حلقة يقرئ فيها، وَكَانَ أَبُو حَيَّان التوحيدي يعظمه وَقد مَلأ تصانيفه بِذكرِهِ وَالثنَاء عَلَيْهِ وَذكر فضائله، وكَانَ وَافِرَ الجَلاَلَةِ، كَثِيْرَ التَّلاَمِذَةِ.

حَدَّثَ عَنْ: أبي بكر بن زياد النَّيْسَابُوري، ومحمد بن أبي الأزهر، وابن دُرَيْد، وَحدّث عَنْهُ: علي بن أيّوب القُمي، ومحمد بن عبد الواحد بن رِزْمة، وغيرهما.

تصانيفه:

ترك الشيخ مجموعة من الكتب منها: كتاب شرح سيبويه، وألفات القطع والوصل، وكتاب أخبار النحويين البصريين، وكتاب شرح مقصورة ابن دريد، وكتاب الإقناع في النحو، لم يتم، فتممه ابنه يوسف، وكان يقول: وضع أبي النحو في المزابل، يريد أنه سهّله حتى لا يحتاج إلى مفسّر، وكتاب شواهد كتاب سيبويه، وكتاب الوقف والابتداء، وكتاب صنعة الشعر والبلاغة، وكتاب المدخل إلى كتاب سيبويه، وكتاب جزيرة العرب.

وفاتـه:

توفي ـ رحمه الله ـ في يوم الاثنين الثاني من رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وكانت سِنّه يوم توفي ثمانين سنة، وذلك بين صلاتي الظهر والعصر من اليوم المذكور، ودفن فِي مقبرة الخيزران بعد صلاة العصر من هذا اليوم.

31. السَّيوطيُّ

جلال الدين السيوطي عَلَمٌ من أعلام الحضارة العربية الإسلامية، ملأ الأرض بعلومه وشنَّف الآذان بدروسه، أعيا من جاء

بعده، وشغل بمؤلفاته تواقي المعرفة ومتتبعي سير الأعلام، فهو "الشيخ العلامة، الإمام، المحقق، المدقق، المسند، الحافظ شيخ الإسلام، صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة، قَصَدَ ـ يرحمه الله ـ ألا يتعب الباحثين عن تاريخه وشيوخه ـ كما يقول شيخ المحققين العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم ـ فكتب لنفسه ترجمة في كتابه (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة).

لم يترك السيوطي بابًا من أبواب المعرفة في عصره إلا طرقه وعاد منه بحظ وافر ـ عدا ما استعصى عليه ـ فأضاف إليه وترك بصمات ناصعة أثرت الفكر العربي الإسلامي، وسدت فراغًا في المكتبة الحضارية الإسلامية والإنسانية.

نسبه ومولده:

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي، ولد في أول ليلة مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، نشأ يتيمًا وانطلق في بواكير حياته إلى العلم فحفظ القرآن الكريم وهو دون ثماني سنين، ثم أخذ ينهل من العلوم المتصلة به.

شيوخه:

كان السيوطي وفيًا لأساتذته، فذكر أياديهم عليه وأثنى عليهم في الدرس والتحصيل والإجازة ومن هؤلاء: الشيخ شهاب الدين الشارمساحي قرأ عليه في شرحه على المجموع، شيخ الإسلام علم الدين البلقيني وقد لازمه في الفقه إلى أن مات، الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي. وقد لزمه في الحديث والعربية شيخ الإسلام شرف الدين المناوي، والشيخ محيي الدين الكافيجي وقد لزمه أربع عشرة سنة؛ وأخذ عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك؛ والشيخ سيف الدين الحنفي وقد حضر عنده دروسا عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه، وتلخيص المفتاح، والعضد. ثم يقول: وأما مشايخي في الرواية سماعًا وإجازة فكثير، أوردتهم في المعجم الذي جمعتهم فيه، وعدتهم نحو مائة وخمسين.

تمكنه من علوم عصره:

تمكن شيخنا من علوم عصره ـ إلا ما استعصى عليه ـ وقد توكل على الله حق توكله فأخذ بالتضرع إلى الله ثم بملازمة العلماء ـ كما رأينا ـ حتى تبوأ مكانة مرموقة في البحث والدرس العربي والإسلامي، وهذا نص كلامه: "سافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، ولما حججت شربت من ماء زمزم، لأمور؛ منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر، وأفتيت من مستهل سنة إحدى

وسبعين، وعقدت إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين، ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي؛ فضلا عمن هو دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه؛ بل شيخي فيه أوسع نظرًا، وأطول باعًا؛ ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الإنشاء والتوسل والفرائض، ودونها القراءات، ولم آخذها عن شيخ، ودونها الطب. وأما علم الحساب فهو أعسر شيء عليَّ وأبعده عن ذهني؛ وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله، وقد كملت عندي الآن آلات الجهاد بحمد الله تعالى؛ أقول ذلك تحدثًا بنعمة الله تعالى لا فخرًا؛ وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر! ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

آثاره العلمـية:

تميزت حياة الرجل العلمية بنشاط غير عادي فقلمه السيال لم يعرف الملل، ولم يترك قط موضوعًا في حقل المعرفة إلا تناوله، فمن علوم قرآنية وحديثية وفقهية إلى علوم لغوية ونحوية إلى علوم في التصوف والتاريخ والفلسفة إلى غير ذلك من مختلف العلوم التي عرفت في عصره، وتشهد آثاره التي يصعب إحصاؤها لكثرتها وتنوعها بتنوع معارفه وشمول عقليته واتساع أفقه ومشاركته في كل علم فضلا عن تبحره في جانب كبير من العلوم، وصدق ما وصف به من وجهة نظر أجنبية بأنه من أعظم كتاب الشرق قاطبة، وبأن نشاطه العلمي الذي ابتدأه في سن السابعة عشرة كان يتميز بحركة غير عادية.

ترك الشيخ عددا من المؤلفات في كل فروع المعرفة أحصى منها رحمه الله: "ثلاثمائة؛ في التفسير وتعلقاته والقراءات، والحديث وتعلقاته، والفقه وتعلقاته، وفن العربية وتعلقاته، وفن الأصول والبيان والتصوف، وفن التاريخ والأدب، والأجزاء المفردة، ما بين كبير في مجلد أو مجلدات، وصغير في كراريس أو أوراق. وذكر تلميذه الداودي المالكي أنها أنافت على خمسمائة مؤلف، وقال ابن إياس في تاريخه "حوادث 911": إنها بلغت ستمائة مؤلف.

وقد سرد الدكتور طاهر سليمان حمودة هذه المؤلفات ما بين المخطوط والمطبوع وقد بلغت بالفعل ستمائة مؤلف، ابتدأها الشيخ في سن السابعة عشرة حتى وافته المنية في سن الحادية والستين، فكأنه في كل عام كان يخرج للقارئ العربي أربعة عشر كتابا تقريبًا.

تلامـــيذه:

1. الشمس الشامي(942 هـ) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، أبو عبد الله شمس الدين الشامي: مؤرخ، مفسر، حافظ للحديث، من الشافعية، ولد في صالحية دمشق وسكن البرقوقية بصحراء القاهرة إلى أن توفي، من كتبه (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) أربعة مجلدات، يعرف بالسيرة الشامية، جمعه من ألف وكتاب و (الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف) و (عين الإصابة في معرفة الصحابة).

2. الأرميوني (958 هـ) يوسف بن عبد الله بن سعيد الحسيني: مفسر، مجود للقرآن، محدث، اخباري، من أهل أرميون من قرى غربية مصر، له كتب، منها "أربعون حديثا تتعلق بسورة الإخلاص"، و"أربعون حديثا تتعلق بآية الكرسي"، و"المعتمد في التفسير: قل هو الله أحد "، و"رسالة في تجويد القرآن"، و"تحفة الأساطين في أخبار بعض الخلفاء والسلاطين"، و"تفسير الغريب في الجامع الصغير".

وقد ذكر السنهوري أنه سأل العلقمي كيف أخذتم الجامع من مؤلفه قال: كنا نذهب مع السيد الشريف يوسف الأرميوني إلى الروضة فنطرق باب الحافظ السيوطي فإن كان السيد يوسف معنا فتح الباب وإلا فلا، والسيد يوسف يقرأ ونحن نسمع.

3. الداوودي (945هـ) الشيخ الإمام العلامة، المحدث الحافظ، محمد بن على بن أحمد، شمس الدين الداوودي المصري الشافعي،

قيل: وكان مالكيًا، كان شيخ أهل الحديث في عصره، أثنى عليه المسند العلامة جار الله بن فهد وشيخ الإسلام الوالد وغيرهما، جمع ترجمة شيخه الحافظ جلال الدين السيوطي، في مجلد ضخم، توفي بالقاهرة، له كتب، منها (طبقات المفسرين)، و(ذيل طبقات الشافعية للسبكي)، و(ترجمة الحافظ السيوطي) في مجلد ضخم.

4. الشعراني: (898 ـ 973 هـ) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي، أبو المواهب أو أبو محمد، المعروف بالشعراني أو الشعراوي، ولد ببلدة ساقية أبي شعرة من أعمال المنوفية وتوفي بالقاهرة، كان فقيهًا محدثًا أصوليًا صوفيًا مكثرًا في التصنيف، أخذ العلم عن مشايخ عصره كالشيخ الجلال السيوطي وزكريا الأنصاري، من تصانيفه: "الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية"، و "أدب القضاة".

أخلاقـــــه:

كان رحمه الله في حياته الخاصة على أحسن ما يكون عليها العلماء ورجال الفضل والدين، عفيفًا كريمًا، غني النفس، متباعدًا عن ذوي الجاه والسلطان، لا يقف بباب أمير أو وزير؛ قانعًا برزقة من خانقاه شيخو، لا يطمع فيما سواه، وكان الأمراء والوزراء يأتون لزيارته ويعرضون عليه أعطياتهم فيردها، وروي أن السلطان الغوري أرسل إليه مرة خصيًا وألف دينار، فرد الدنانير، وأخذ الخصي ثم أعتقه، وجعله حارسًا في الحجرة النبوية، وقال لرسول السلطان: لا تعد تأتينا قط بهدية؛ فإن الله أغنانا عن ذلك.

محنة السيوطي:

تدارس العلماء هذه الكتب في كل مكان، وانتشرت في حياة السيوطي وبعده، وعمرت بها المدارس والمعاهد ودور الكتب، وكَاتَبَهُ المستفتون في شتى الجهات؛ مما أثار عليه فريقًا من أقرانه ومعاصريه من العلماء، وتحاملوا عليه، ورموه بما هو منه براء؛ وكان من أشد الناس خصومة عليه، وكثرهم تجريحًا وتشهيرًا، المؤرخ شمس الدين السخاوي، صاحب كتاب "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"؛ فقد ترجم له في هذا الكتاب، ونال من علمه وخلقه؛ مما يقع مثله بين النظراء والأنداد.

وانتصر السيوطي لنفسه في مقامة اسمها: الكاوي على تاريخ السخاوي، كما انتصر له فريق من تلاميذه وفريق من العلماء ممن جاء بعده، منهم الشوكاني صاحب البدر الطالع؛ قال في ترجمته للسيوطي بعد أن لخص مطاعن السخاوي فيه، ورد هذه المطاعن عنه: "على كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل، بعدم قبول قول الأقران بعضهم في بعض؛ مع ظهور أدنى منافسة؛ فكيف لمثل هذه المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض! فإن أقل من هذا يوجب عدم القبول، والسخاوي رحمه الله وإن كان إمامًا غير مدفوع؛ لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه".

وفـاتــه:

ظل السيوطي طوال حياته مشغوفا بالدرس مشتغلا بالعلم، يتلقاه عن شيوخه أو يبذله لتلاميذه، أو يذيعه فتيا، أو يحرره في الكتب والأسفار؛ وحينما تقدم به العمر، وأحس من نفسه الضعف، خلا بنفسه في منزله بروضة المقياس، واعتزل الناس، وتجرد للعبادة والتصنيف، وألف كتابه: "التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس"، وكانت وفاة السيوطي على ما ذكره ابن إياس في الخميس التاسع من جمادى الأولى سنة 911هـ، ودفن بجوار خانقاه قوصون خارج باب القرافة، بعد أن ملأ الدنيا علما، وشهرةً وذكرا، رحمة الله عليه.

32. ابن الشَّجَرِيّ

أحد الأئمَّة الأعلام في علم اللّسان، العَلاَّمَةُ، شَيْخ النُّحَاة، أَبُو السَّعَادَاتِ، هِبَةُ اللهِ بنُ عَلِيّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَمْزَةَ بنِ عَلِيٍّ، الهَاشِمِيُّ العَلَوِيُّ الحَسَنِيّ البَغْدَادِيّ، مِنْ ذُرِّيَّة جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

كانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة، والشجري: بفتح الشين والجيم، هذه النسبة إلى شجرة، وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

مكانته العلمية:

كان يرحمه الله إمامًا في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلعًا من الآداب، قال أبو الفضل بن شافع في "تاريخه": مُتّع بجوارحه إلى آخر وقت، وكان نحويًا، حسن الشرح، والإيراد، والمحفوظ، وقال ابن السمعاني: سمعت منه، وكان فصيحًا، حَسَن البيان والإفهام.

وقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: ابْن الشَّجرِيّ شَيْخ وَقته فِي مَعْرِفَةِ النَّحْو، دَرَّسَ الأَدب طول عُمُرِهِ، وَكثر تلاَمِذته، وَطَالَ عُمُرُهُ.

وَقَالَ ابن الأَنْبَارِيّ: شَيْخنَا أَبُو السَّعَادَاتِ، كَانَ فَرِيْد عصره، وَوحيد دَهْره فِي علم النَّحْو، أَنحَى مَنْ رَأَينَا، وَآخِرَ مَنْ شَاهِدنَا مِنْ حُذَاقهِم وَأَكَابِرهِم، وَعَنْهُ أَخذت النَّحْو، وَكَانَ تَامّ المَعْرِفَة بِاللُّغَةِ.

أساتذتـه:

قرأ شيخنا عَلَى الشّريف أَبِي المعمّر يحيى بْن محمد بْن طباطبا النَّحْوي، وَابْن فضّال الْمُجَاشِعِي وَأبي جعفرٍ سعيد بن عَليّ السلالي الْكُوفِي، وَأبي زَكَرِيَّاء التبريزي، وقرأ الحديث في كُهولته على: أبي الحسين المبارك ابن الطُّيوري، وأبي عليّ بْن نبهان، وغيرهما.

تلامـيذه:

ممن رَوَى عَنْ الشيخ: عَبْد المَلِكِ بن المبارك القاضي، وأحمد بن يحيى

ابن الدَّبِيْقِيّ، وَسُلَيْمَان بن مُحَمَّدٍ المَوْصِلِيّ، وَعَبْد اللهِ بن عُثْمَانَ البَيّع، وَآخَرُوْنَ. وممّن قَرَأَ عَلَيْهِ الشَّيْخ تَاج الدّين أَبُو اليُمن الْكِنْدِيّ ابْن الخَشَّاب، وَابْن عبدة، والتاج الكندي، وأبو الحسن ابن الزَّاهِدَة.

أخلاقــه:

امتاز هذا العَلم بمجموعة من خِلالِ العلماء ذُكر منها: أنه كان كَامِلَ الْفَضَائِل، حَسَنَ الخُلُقِ، رفِيقًا، حُلْو الكَلاَم، وَقُوْراً ذَا سَمتٍ، لاَ يَكَاد يَتَكَلَّم فِي مَجْلِسِهِ بكلمَة إِلَّا وَتتضمن أَدب نَفْس أَوْ أَدب درس.

تصانيـفه:

كان الشيخ متضلعًا من الْأَدَب إذ صنف فِيهِ عدَّة تصانيف من أشهرها: كتاب الأمالي، وَهُوَ أكبر تآليفه وأكثرُها فَائِدَة أملاه فِي أَرْبَعَة وَثَمَانِينَ مَجْلِسًا، وَهُوَ يشْتَمل على فَوَائِد جمة من فنون الْأَدَب وختَمه بمجلسٍ قَصَرَه على شعر أبي الطيّب تكلم عَلَيْهِ وَذكر مَا قَالَه الشُرّاح وَزَاد مِن عندِه مَا سَنَحَ لَهُ، وَلما فرغ مِنْهُ حضر إِلَيْهِ أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن الخشاب وَأَرَادَ سماعَه فَمَا أَجَابَهُ؛ فعاداه ورد عَلَيْهِ فِي مَوَاضِع من الْكتاب وَنسبه فِيهَا إِلَى الْخَطَأ، فَوقف عَلَيْهِ الشريف أَبُو السعادات وردَّ عَلَيْهِ فِي ردّه وبيّن وُجُوه غلطِهِ وجمعَه كتابا سَمَّاهُ (الِانْتِصَار)، وَهُوَ على صِغَر حجمه مفيدٌ جدًا وسمِعه عَلَيْهِ النَّاس، وَجمع كتابًا سَمَّاهُ (الحماسة) ضاهى به حماسة أبي تمام، و"ديوان مختارات الشعراء"، وكتاب "ما اتفق لفظه واختلف معناه"، و"شرح اللمع لابن جني"، و"شرح التصريف الملوكي".

وفاتــه:

توفي في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ودفن من الغد في داره بالكرخ من بغداد، رحمه
الله تعالى.

33. الشَّلَوْبِينَي

الأُسْتَاذُ الْعَلَامَةُ إِمَامُ النَّحْوِ أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْأَزْدِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ النَّحْوِيُّ الْمُلَقَّبُ بِالشَّلَوْبِينِي، كان مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِإِشْبِلِيَّةَ، والشلوبين بلغة أهل الأندلس الأبيض الأشقر.

أساتذتــــه:

سَمِعَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْجَدِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَرْقُونَ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ بُونُه، وَأَبِي زَيْدٍ السُّهَيْلِيِّ، وَعَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ الْفَرَسِ، وَطَائِفَة. وَلَهُ إِجَازَةٌ خَاصَّةٌ مِنْ أَبِي طَاهِرٍ السِّلَفِي، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ خَيْرٍ، وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ حُبَيْشٍ، اخْتَصَّ بِابْنِ الْجَدِّ، وَرُبِّيَ فِي حِجْرِهِ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ خَادِمًا لِابْنِ الْجَدِّ، وَلَهُ سَمَاعٌ كَثِيرٌ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنِ ابْنِ مُلْكُون، وَأَبِي الْحَسَنِ نَجَبَةَ.

مكانته العلمية:

ظهرت نجابة الشيخ قديمًا، إذ خطَّ له الحافظ أبي بكر ابن الجد وأبي الحسن نجبة مجيزين له " كتاب سيبويه" بعد أخذه عنهما بين سماع وقراءة، وقد وصفاه بالأستاذية وما يناسبها من أوصاف نبلاء أهل العلم وطلابه، وهو ابن اثنين وعشرين عامًا أو دونها، وحسبك بهذا شهادة له بالإدراك ولاسيما من الحافظ.

كَانَ الشيخ إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّةِ لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ وَلَا يُجَارَى، في علم النحو مستحضرًا له غاية الاستحضار، تَصَدَّرَ لِإِقْرَاء العربية سِتِّينَ سَنَةً، ثُمَّ فِي أَوَاخِرِ عُمْرِهِ تَرَكَ الْإِقْرَاءَ لِإِطْبَاقِ الْفِتَنِ وَاسْتِيلَاءِ الْعَدُوِّ، عَمِلَ لِنَفْسِهِ "مَشْيَخَةً " نَصَّ فِيهَا عَلَى اتِّسَاعِ مَسْمُوعَاتِهِ، وَكَانَ أَنِيقَ الْكتابةِ. قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ قَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَقُولُ: مَا يَتَقَاصَرُ أَبُو عَلِيٍّ شَيْخُنَا عَنِ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، أَخَذَ عَنْهُ عَالَمٌ لَا يُحْصَوْنَ.

كان الشيخ ذا معرفة بالقراءات، حاملاً للآداب واللغات، آخذًا بطرف صالح من رواية الحديث، متقدمًا في العربية كبير أساتيذها بإشبيلية، مبرزًا في تحصيلها، مستبحرًا في معرفتها، متحققًا بها، حسن الإلقاء لها والتعبير عن أغراضها. وله فيها مصنفات نافعة وتنبيهات نبيلة وشروح واستدراكات وتكميلات، تصدر لتدريسها بعد الثمانين وخمسمائة مدة طويلة، وإليه كانت الرحلة فيها.

مصنفاتـه:

ترك الشيخ عددًا من المصنفات منها: شرحه المقدمة الجزولية شرحين كبير وصغير، وله كتاب في النحو سماه "التوطئة "، وشرح كتاب سيبويه، وتعليق على كتاب المفصل، وكتاب القوانين في علم العربية.

وفاتــه:

عَاشَ ثَلَاثًا وَثَمَانِينَ سَنَة، وتوفي ـ يرحمه الله تعالى ـ في أحد الربيعين، وقيل في صفر، سنة خمس وأربعين وستمائة بإشبيلية.

34. الصاحب بن عباد

نادرةُ دهرِهِ وأُعجوبةُ عصره فِي الفضائل والمكارم، الفصيح المفوه، واللغوي البارع إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) عام 326هـ. استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. وهو أوّل من سُمّي بالصاحب، لأنّه صحب مؤَيَّد الدولة من الصِّبا، وسّماه الصّاحب، فغلب عَلَيْهِ، ثم سُمّي بِهِ كلّ من وُلِّي الوزارة بعده، وقيل: لأنّه كَانَ يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له صاحب ابن العميد، ثم خُفِّف فقيل: الصّاحب.

أساتذتـه:

أخذ الْأدب عَنِ الوزير أَبِي الفضل بْن العميد، وأَبِي الْحُسَيْن أحْمَد بْن فارس، وسمع الحديث من أبيه، ومن غيره واحد، وحدّث باليسير، وأملى مجالس روى فِيهَا عَنْ: عَبْد اللَّه بْن جَعْفَر بْن فارس، وأَحْمَد بْن كامل بْن شَجَرَة، وأَحْمَد بْن مُحَمَّد أَبِي الْحَسَن اللُّنباني، وسُليمان الطَّبَراني، وطائفة.

تلاميذه:

وقد رَوَى عَنْهُ: أَبُو العلاء مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن حَسْوَل، وعَبْد الملك بْن عَلِيّ الرّازي القطّان، وَأَبُو بَكْر بْن أَبِي عَلِيّ المعدّل، والقاضي أَبُو الطّيّب طاهر الطَّبَرِي، وَأَبُو بَكْر ابن المقرئ.

مصنفاتـه:

صنف الصاحب فِي اللغة كتابا سمّاه "المحيط" فِي سبع مجلدات، وله "الكافي" فِي الترسل، و"الْأعياد"، و"الْإمَامة" ذكر فِيهِ فضائل عَلِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، وثبت إمامة من تقدمه، و"الوزراء"، و"الكشف عن مساوئ شعر المتنبي"، و "أسماء اللَّه وصفاته".

ويحكى أنه لما صنف كتاب الوقف والابتداء كان ذلك في شبابه، فأرسل إليه ابن الأنباري يقول: إنما صنفت كتاب الوقف والابتداء بعد أن نظرت في سبعين كتابًا تتعلق بهذا العلم، فكيف صنعت هذا الكتاب مع حداثة سنك؟ فقال الصاحب للرسول: قل للشيخ: نظرت في النيف وسبعين التي نظرت فيها، ونظرت في كتابك أيضًا.

ورد أنَّه جمع من الكتب ما كَانَ يحتاج في نقلها إلى أربعمائة جَمَل، ولما عزم عَلَى الْإملاء، تاب إلى اللَّه، واتخذ لنفسه بيتًا سماه "بيت التَّوْبة".

وكان الصاحب ينفذ في السنة إلى بغداد خمسة آلاف دينار، تُفَرَّق عَلَى الفقهاء والأدباء، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة، وحينما عوفي من مرض ألمَّ به تصدَّق بنحوٍ من خمسين ألف دينار.

وفاتــه:

توفي ـ يرحمه الله ـ بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها 385هـ، ولما تُوُفِّي أُغْلَقَتْ لَهُ مدينة الرّيّ، واجتمع الناس على باب قصره، وحضر مخدومه وسائر الْأمراء، ومشى فخر الدولة ابن بُوَيْه أمام نعشه، وقعد للعزاء.

35. الصَّبَّان

أبو العرفان محمد بن علي الصَّبَّان المصري، الشافعي، الحنفي، عالم، أديب، مشارك في اللغة والنحو والبلاغة والعروض والمنطق والسيرة، والحديث ومصطلحه والهيئة وغير ذلك.

ولد الصَّبَّان في القاهرة، ونشأ فقيرًا؛ لكنَّ ذلك لم يحل بينه وبين طلب العلم، فما لبث أن حفظ القرآن في سني الصغر، وسارع إلى تلقي العلم فحضر أشياخ عصره وجهابذة مصره.

أساتذتــه:

لازم الشيخ عددًا من شيوخه عصر، فقد حضر على الشيخ الملوي شرحه الصغير على السلم، وشرح الشيخ عبد السلام على جوهرة التوحيد، وشرح المكودي على الألفية، وشرح الشيخ خالد على قواعد الأعراب. وحضر على الشيخ حسن المدابغي صحيح البخاري بقراءته لكثير منه. وعلى الشيخ محمد العشماوي الشفا للقاضي عياض، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود. وعلى الشيخ أحمد الجوهري شرح أم البراهين لمصنفها بقراءته لكثير منها، وصحيح مسلم، وتفسير البيضاوي، وشرح رسالة الوضع للسمرقندي. وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي تفسير البيضاوي، وتفسير الجلالين وشرح الجوهرة للشيخ عبد السلام. وعلى الشيخ محمد الحفناوي صحيح البخاري والجامع الصغير، وغيرهم.

مكانته العلمية:

لم يزل الشيخ يخدم العمل ويدأب في تحصيله حتى تمهَّر في العلوم العقلية والنقلية، وقرأ الكتب المعتبرة في حياة أشياخه، وربى التلاميذ، واشتهر بالتحقيق والتدقيق والمناظرة والجدل، وشاع ذكره وفضله بين العلماء بمصر والشام؛ فالتف حوله الخلائق الكثيرون.

وقد وصفه المؤرخ الجبرتي بقوله: الإمام الذي لمعت أفق الفضل بوارقه وسقاه من مورده النمير عذبه ورائقه، لا يدرك بحر وصفه الإغراق، ولا تلحقه حركات الأفكار ولو كان لها في مضمار الفضل السباق، العالِم النحرير واللوذعي الشهير.

مصنفاتـه:

صنَّف الصبان مؤلفات في مختلف العلوم، ومن أشهرها في النحو "حاشيته" على الأشموني التي سارت بها الركبان، فاحتفى بها العلماء وعلقوا عليها تقارير كالأنبابي والحامدي والرفاعي، والكافية الشافية في علمي العروض والقافية، وإتحاف أهل الإسلام بما يتعلق بالمصطفى وأهل بيته الكرام، وإسعاف الراغبين في السيرة النبويّة، والرسالة الكبرى في البسملة، وأرجوزة في العروض مع شرحها، وحاشية على شرح الملوي على السلم في المنطق، ورسالة في الاستعارات، وحاشية على شرح الرسالة العضدية، وتقرير على مقدمة جمع الجوامع، وكتاب في علم الهيئة، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية في البلاغة، وحاشية على السعد في المعاني والبيان، وحاشية على آداب البحث، ومنظومة في مصطلح الحديث ستمائة بيت، ومثلثات في اللغة، ورسالة في مفعل، ومنظومة في ضبط رواة البخاري ومسلم، وغير ذلك.

وفاتـه:

كانت وفاته ـ يرحمه الله ـ في القاهرة عام 1206هـ.

36. ابنُ عُصْفُور

الماهر في علم العربية، وحَامِل لِوَائها فِي زَمَانه بالأندلس، عَليّ بن مُؤمن بن مُحَمَّد بن عَليّ أَبُو الْحسن بن عُصْفُور النَّحْوِيّ الْحَضْرَمِيّ

الإشبيلي، ولد سنة سبع وَتِسْعين وَخمْسمائَة بإشبيلية، وهُو عامُ السَّيْل الكبير.

رحلاته العلمية:

أخذ ابن عصفور العربية والأدب عن أبي الحسن الدباج وأبي علي بن الشلوبين، واختص به كثيرًا، ولازمه مُدَّة، ذكر أبو عبد الله محمد بن حيّان الشّاطبيّ في "تاريخه" قال: لازم ابن عُصْفور أبا عليّ نحوًا من عشرة أعوام إلى أن ختم عليه كتاب "سِيبَوَيْه"، ثم كَانَت بَينهمَا منافرة ومقاطعة.

وقد تصدر للاشتغال مُدَّة بعدة بِلَاد، وقد تجوَّلَ وسَكَنَ ثَغْرَي آنفا مرّةً وآزمورَ أخرى، وأوطَنَ بأَخَرةٍ تونُس، فعُرِف بها قَدْرُه، ودَخَلَ مَرّاكُش، وَأَقْبل عَلَيْهِ الطّلبَة، وَكَانَ أَصْبر النَّاس على المطالعة؛ لَا يمل من ذَلِك؛ وَلم يكن عِنْده مَا يُؤْخَذ عَنهُ غير النَّحْو؛ وَلَا تأهل لغير ذَلِك.

مكانته العلمية:

قال عنه عبد الملك الأنصاري المراكشي (ت 703هـ) في كتابه (السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة): روى عنه الحسن بن عبد الرحمن بن عذرة، وحدثنا عنه أبو عبد الله بن أبي وأبو محمد مولى سعيد بن حكم، وكان ابن عصفور ماهرًا في علم العربية، ريان من الأدب، حسن التصرف، من أبرع من تخرج على أبي علي بن الشلوبين، وأحسنهم تصنيفًا في علوم اللسان.

وقال عنه شمس الدين الذهبي (ت 748هـ) في كتابه (تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام): كان ـ يرحمه الله ـ بحرًا في العربيّة يُقرِئ الكُتُب الكبار فيها ولا يطالع عليها، وقد أقرأ بإشبيلية وشريش ومالقة ولورقة ومرسية، وكان إمامًا في النحو لا يُشَقُّ غُباره ولا يُجارى. شَرحَ " كتاب سيبويه"، و"جمل الزجاجي"، ومصنفه في "التصريف" جليل نافع، ومقرَّبه في النحو شاهدٌ بذكره للعربية وإشرافه على مشهورها وشاذها.

مصنفاته:

ترك ابن عصفور ـ رحمه الله ـ مصنفات منها: كتاب "الممتع"، وكتاب " المفتاح"، وكتاب "الهلال"، وكتاب "الأزهار"، وكتاب "إنارة الدياجي"، وكتاب "مختصر الغرة"، وكتاب "مختصر المحتسب"، وكتاب "السالف والعذار"، وكتاب "شرح الجمل"، وكتاب "المقرب" في النحو، وكتاب "البديع"، و"شرح الجزولية"، و"شرح المتنبي"، و"سرقات الشعراء"، و"شرح الأشعار الستة"، و"شرح المقرب"، و"شرح الحماسة"، وهذه الشروحات لم يكملها، وله غير ذلك.

وفاتــه:

توفّي ـ يرحمه الله ـ بدارِ سُكْناهُ من قصَبة تونُس، بعدَ ظُهرِ يوم السّبت لستٍّ بَقِينَ من ذي قَعْدةِ تسع وستين وستمائة، ودُفنَ عَقِبَ العصرِ من يوم وفاتِه.

37. العُكبَري

شيخ زمانه، وفرد أوانه، منحة الدهر، وحسنة العصر، إمام مسجد ابن حمدون ببغداد بالريحانيين ومتقدم الإقراء به، إمام في كل علم من النحو واللغة والفقه والفرائض والكلام، يقرئ ذلك كله وهو ضرير.

إنه عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين أبو البقاء العكبري البغدادي الأزجي الحنبلي النحوي اللغوي الفرضي، محب الدين.

أضرّ وهو في صباه بالجدري، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة.

أساتذتــه:

أدرك العكبري ابن الخشاب وأخذ عنه، وقرأ الأدب على عبد الرحيم بن العصار، وقرأ الفقه على الشيخ أبي حكيم إبراهيم بن دينار النهاوندي. وسمع في صباه من أبي الفتح ابن البطي، وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي، وأبي بكر عبد الله بن النقور، وأبي العباس أحمد بن المبارك بن المرقعاني وغيرهم. وكان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي يفزع إليه فيما يشكل عليه من علم الأدب.

أخلاقــه:

كان الشيخ أبو البقاء ـ رحمه الله ـ دينًا ورعًا صالحًا حسن الخلق قليل الكلام فيما لا يجدي نفعًا، وكان رقيق القلب سريع الدمع، كان ينشد من أشعار المتأدبين الرقيقة وأدمعه تتحدر على شيبته.

وكان قد تفرّد في عصره بالعلوم خصوصًا علم العربية والفرائض، وكان الناس يقصدونه من أقصى الشرق والغرب لأجلها. وكان يحب الاشتغال ليلاً ونهارًا ما يمضي عليه ساعة إلا وأحد يقرأ عليه أو يطالع حتى أنه بالليل تقرأ له زوجته في كتب الأدب وغيرها. روي أن جماعة من الشافعية قالوا له: انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية، فقلت: لو أَقْمَتُموني وصببتم الذهب عليّ حتى واريتموني ما رجعت عن مذهبي.

مصنفاتـه:

كان ـ يرحمه الله ـ إذا أراد أن يصنف شيئًا أحضرت إليه مصنفات ذلك الفن وقرئت عليه، فإذا حصل ما يريد في خاطره أملاه، فكان يقال: أبو البقاء تلميذ تلامذته.

وله من التصانيف: تفسير القرآن، إعراب القرآن، وإعراب الشواذ من القراءات، ومتشابه القرآن، وعدد آي القرآن، وإعراب الحديث، والمرام في نهاية الأحكام في المذهب، والكلام على دليل التلازم، وشرح الهداية لأبي الخطّاب، والناهض في علم الفرائض، والبلغة في

الفرائض، والتلخيص في الفرائض، والاستيعاب في أنواع الحساب، ومقدّمة في الحساب، وشرح الفصيح، والمشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، وشرح الحماسة، وشرح المقامات الحريريّة، وشرح الخطب النباتيّة، والمصباح في شرح الإيضاح والتكملة، والمتّبع في شرح اللّمع، ولباب الكتاب، وشرح أبيات كتاب سيبويه، وإعراب الحماسة، والإفصاح عن معاني أبيات الإيضاح، وتلخيص أبيات الشعر لأبي عليّ، والمحصّل في إيضاح المفصّل، ونزهة الطرف في إيضاح قانون الصرف، والترصيف في علم التصريف، اللّباب في علل البناء والإعراب، والإشارة في النحو ـ مختصر، ومقدمة في النحو، وأجوبة المسائل الحلبيّات، والتلخيص في النحو، والتلقين في النحو، والتهذيب في النحو، وشرح شعر المتنبّي، وشرح بعض قصائد رؤبة، ومسائل في الخلاف في النحو، وتلخيص التنبيه لابن جنّي، والعروض ـ معلّل، والعروض ـ مختصر، ومختصر أصول ابن السرّاج، ومسائل نحو مفردة، ومسألة في قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "إنّما يرحم الله من عباده الرحماء"، والمنتخب من كتاب المحتسب.

وفاتـه:

توفي ـ يرحمه الله ـ في ثامن ربيع الآخر في سنة ست عشرة وستمائة.

38. أبو على الفارسي

هو من أكابر أئمة النحويين، أشهر من أن يذكر فضله ويعدد، معلوم في العالم اسمه، معروف تصنيفه ورسمه، أوحد زمانه في علم العربية. إنه أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي.

حدَّث بِجُزْءٍ مِنْ حَدِيْثِ إِسْحَاقَ بنِ رَاهْوَيْه، سَمِعَهُ مِنْ عَلِيّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ مَعْدَانَ، تفرَّد بِهِ، وجرت بينه وبين بين أبي الطيب المتنبي مجالس، قدِمَ بَغْدَادَ شَابًّا، وَسَكَنَ طرَابُلُسَ مُدَّةً، ثُمَّ حَلَبَ، وَاتَّصَلَ بِسيفِ الدَّوْلَةِ، وتخرَّج بِهِ أَئِمَّةٌ.

أساتذتـه:

أخذ أبو علي الفارسي النحو عن جماعة من أعيان أهل هذا الشأن منهم: أبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر ابن السراج، وأبي بكر مبرمان، وأبي بكر الخياط.

تلامـيذه:

أخذ عنه جماعة من حذاق النحويين، منهم: أبي الفتح بن جني، وعلي بن عيسى الربعي، وأبي طالب العبدي، وأبي الحسن الزعفراني، وغيرهم.

مكانته العلمية:

علت منزلته في النحو حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم منه، وصنف كتبًا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الآفاق، وبرع له غلمان حذّاق مثل: عثمان بن جني، وعلي بن عيسى الربعي، وخدم الملوك ونفق عليهم، وتقدّم عند عضد الدولة، فكان عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو وغلام أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم، وكان أبو طالب العبدي يقول: لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه أحد أبصر بالنحو من أبي علي.

تقدم أبو علي عند الملوك خصوصًا عند عضد الدولة، ويقال: إنه اجتمع مع عضد الدولة في الميدان، فسأله عضد الدولة، بماذا ينتصب الاسم المستثنى، في نحو: قام القوم إلا زيدًا؟ فقال له أبو علي: ينتصب بتقدير "استثنى زيدًا"، فقال له عضد الدولة ـ وكان فاضلاً ـ لم قدرت "استثنى زيدًا" فنصبت؟ وهلا قدرت "امتنع زيد" فرفعت! فقال له أبو علي: هذا الجواب الذي ذكرته لك جواب ميداني، وإذا رجعت ذكرت لك الجواب الصحيح، وذكر في كتاب الإيضاح: أنه انتصب بالفعل المقدم بتقويه إلا.

مصنفاته:

ترك أبو علي كثيرًا من التصانيف منها: كتاب الحجة، وكتاب التذكرة، وكتاب أبيات الإعراب، وكتاب الإيضاح الشعري، وكتاب الإيضاح النحوي، وكتاب مختصر عوامل الإعراب، وكتاب المسائل الحلبية، وكتاب المسائل البغدادية، وكتاب المسائل الشيرازية، وكتاب

المسائل القصرية، وكتاب الإغفال، وهو مسائل أصلحها على الزجاج، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب نقض الهاذور، وكتاب الترجمة، وكتاب المسائل المنثورة، وكتاب المسائل الدمشقية، وكتاب أبيات المعاني، وكتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير نحو مائة ورقة، وكتاب تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة" المائدة: 6، وكتاب المسائل البصرية، وكتاب المسائل العسكرية، وكتاب المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج، وكتاب المسائل المشكلة، وكتاب المسائل الكرمانية.

ولما صنف أبو علي (كتاب الإيضاح) وحمله إلى عضد الدولة استقصره عضد الدولة، وقال له: ما زدت على ما أعرف شيئا، وإنما يصلح هذا للصبيان، فمضى أبو علي وصنّف "التكملة" وحملها إليه، فلما وقف عليها عضد الدولة قال: غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو.

وفاته:

توفي . يرحمه الله . لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، سنة سبع وسبعين وثلثمائة ببغداد عن نيف وتسعين سنة.

39. أَبُو عَلِيٍّ القَالِيُّ

العَلَّامة اللُّغَوِيُّ أَبُو عَلِيٍّ، إِسْمَاعِيْلُ بنُ القَاسِمِ بن هارون بن عَيْذُوْنَ البَغْدَادِيُّ القَالِيُّ، صَاحِبُ كتاب "الأَمَالِي فِي الأَدَبِ"، نسبَةً إِلَى

قريَةِ "قَالي قلاَ" مِنْ أَعمَالِ مَنَازكردَ، مِنْ إِقلِيمِ أَرمِينيةَ، رَافَقَ نَاسًا مِنْ تِلْكَ القريَةِ، فَعُرِفَ بِذَلِكَ تلقيبًا، وشُهِرَ به.

مال بطبعه إلى اللغة وعلوم الأدب؛ فبرع فيها، واستكثر منها وكان أحفظ أهل زمانه للغة، وأرواهم للشعر، وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين، وأكثرهم تدقيقًا في ذلك.

رحلاته العلمية:

وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وطاف البلاد، وسافر إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثمائة، وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي. ودخل بغداد في سنة خمس وثلاثمائة، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وكتب بها الحديث. ثم خرج من بغداد قاصدًا الأندلس، ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة واستوطنها، وأملى كتابه الأمالي بها، وأكثر كتبه بها وضعها بقرطبة.

أساتذتـه:

أَخَذَ الشيخ العَرَبِيَّةَ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ، وَأَبِي بَكْرٍ بنِ الأَنْبَارِيّ، وَابنِ دَرَسْتَوَيْه، وَنِفْطَوَيْه، وَسَمِعَ مِنْ أَبِي يَعْلَى بِالمَوْصِلِ، وَمن أَبِي القَاسِمِ البَغَوِيّ، وَأَبِي بَكْرٍ بنُ أَبِي دَاوُدَ، وَيَحْيَى بنُ صَاعِدٍ، وعلي بن سليمان الأخفش وَتلاَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بنِ مُجَاهِدٍ لأَبِي عَمْرٍو.

كما سمع من أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، وأبي بكر محمد بن السمري المعروف بابن السراج وأبي اسحق إبراهيم بن الزجاج، وأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار المعروف بابن الأنباري،

وأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وأبي عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد المطرز وغيرهم، وقيل إنه كان سمع من أبي يعلي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي.

تلاميذه:

سمع منه جماعات، وحدثوا عنه؛ منهم: أبو محمد عبد الله بن الربيع بن عبد الله التميمي، ولعله آخر من حدّث عنه، وأحمد بن أبان بن سيد. وممن روى عنه أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي، صاحب مختصر وكتاب العين، وكان حينئذ إمامًا في الأدب، ولكن عرف فضلَ أبي علي فمال إليه، واختص به، واستفاد منه.

مكانته العلمية:

قال الحميدي في جذوة المقتبس عن أبي علي:" كان إمامًا في علم اللغة، متقدمًا فيها، متقنًا لها، فاستفاد الناس منه، وعولوا عليه، واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه على غاية التقييد، والضبط، والإتقان؛ وقد ألف في علمه الذي اختص به تواليف مشهورة تدل على سعة روايته، وكثرة إشرافه.

ونقل صاحب بغية الملتمس: أن أبا على القالي كان أحفظ زمانه للغة، وأرواهم للشعر، وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين، وأكثرهم تدقيقًا في ذلك.

مصنفاتـه:

صنف الشيخ عدة مصنفات نالت شهرة بين الدارسين منها على مر العصور: الأمالي، النَّوَادِر، الْمَقْصُور والممدود، شرح المعلقات، الْإِبِل، الْخَيل، البارع فِي اللُّغَة، مقَاتل الْعَرَب، حلي الْإِنْسَان، فعلت وأفعلت، وَغير ذَلِك.

وفاتــه:

توفي القالي بقرطبة في شهر ربيع الآخر، وقيل: جمادى الأولى، سنة ست وخمسين وثلاثمائة ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور، رحمه الله رحمةً واسعة.

40. ابن فارس

الإِمَامُ العَلاَّمَةُ، اللُّغَوِيُّ المُحَدِّثُ، أَبُو الحُسَيْنِ، أَحْمَدُ بنُ فَارسِ بنِ زَكَرِيَّا بن مُحَمَّدِ بنِ حَبِيْبٍ القَزْوِيْنِيُّ، المَعْرُوفُ بِالرَّازِيّ، المَالِكِيُّ.

مكانته العلمية:

كَانَ رَأْساً فِي الأَدب، بَصِيْرًا بفقهِ مَالِك، مُنَاظرًا مُتَكَلِمًا عَلَى طريقَةِ أَهْلِ الحَقّ، وَمَذْهَبُهُ فِي النَّحْوِ عَلَى طريقَةِ الكُوْفِيّين، جمع إِتْقَانَ العِلْم إِلَى ظَرْفِ أَهْل الكتابةِ وَالشّعر، وكان كريمًا جوادًا لا يبقي شيئًا، وربما سئل فوهب ثياب جسمه وفرش بيته.

كان الصاحب بن عباد يكرمه ويتتلمذ له ويقول: "شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف". قيل عنه: إذا ذُكِرت اللُّغة فهو صاحب مُجْمِلها، لا بل صاحبها المجمّل لها،

وكان يحثّ الفقهاء دائمًا عَلَى معرفة اللُّغة، ويلقي عليهم ويُخْجِلُهم ليتعلّموا اللُّغة، ويقول: من قصر علمه عن اللغة وغُولط غَلط.

مصنفاتـه:

ترك ابن فارس للمكتبة العربية مجموعة من التصانيف التي تنمُّ عن عقلية موسوعية، منها: كتاب المجمل، ومتخير الألفاظ، وفقه اللغة، وغريب إعراب القرآن، وتفسير أسماء النبي عليه السلام، ودارات العرب، وحلية الفقهاء، وذخائر الكلمات، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب الليل والنهار، وكتاب العمّ والخال، وأصول الفقه، وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والصاحبي صنفه لخزانة الصاحب بن عباد، وجامع التأويل في تفسير القرآن، وخلق الإنسان، ومقاييس اللغة، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله.

وقد امتدح أحد الباحثين جهود ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة) قائلا: يعد ابن فارس من اللغويين الأوائل الذين اهتموا بإيجاد صلة بين المدلولات المختلفة للجذر اللغوي الواحد، ومحاولة إرجاعها إلى أصولها وتوضيح هذه الصلة ما استطاع إلى ذلكم سبيلا، وإن لم تخلُ المعجمات السابقة مثل العين والجمهرة من مثل هذه الإشارات بصورة متفرقة، حتى جاء ابن فاس ليدفع بها إلى القمة، ويبني معجمًا لغويًا متكاملا يبحث في هذه الظاهرة الدلالية التي لفتت انتباهه، واستطاع أن يقدم لنا معجمًا يجمع شتات هذه الظاهرة ويبين طرق

انتقال المعنى، فكان عملًا دلاليًا فريدًا من نوعه استطاع أن يخترق به الأزمان والأمكنة، وأن يغزو به عقول معاصريه وأفئدتهم، لقد بلغ ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة) الغاية في الحذق باللغة وتكنه أسرارها، وفهم أصولها، إذ يردُّ مفردات كل مادة من مواد اللغة إلى أصولها المعنوية المشتركة فلا يكاد يخطئه التوفيق.

وفاتـه:

قضى الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس ـ يرحمه الله ـ في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالريّ، ودفن بها.

41. الفَراهيدي

عبقري من كبار عباقرة الحضارة العربية الإسلامية، ومبدع من أكابر مبدعي علوم العربية، ما إن يذكر اسمه حتى يذكر الإبداع المتميز والعلم الرصين والعقلية الفكرية المتبحرة التي فقهت كتاب ربها وانقطعت للعلم، بعد أن بلغ بها حب البحث والدرس مبلغا ملك شغاف القلب، إنه عبقري العربية الأول وأحد أئمتها الكبار أَبُو عبد الرَّحْمَن، الْخَلِيل بن أَحْمد بن عَمْرو بن تَمِيم الفراهيدي الْبَصْرِيّ، صَاحب الْعَرَبيَّة وَالْعرُوض.

نشأتـه:

نشأ فقيه العربية الفراهيدي بالبصرة وتربّى فيها، وكان مولعًا بالدرس والبحث، وقد لازم حلقات أستاذيه: عيسى بن عمر، وأبي

عمرو بن العلاء، فأمّا أستاذه عيسى بن عمر فقد كان إمامًا في العربية والقراءات، وصنف كتابي الجامع والإكمال، وأبو عمرو بن العلاء كان أستاذًا للعربية وإمامًا في دراستها، وَكَانَ آيَة فِي الذكاء، وَكَانَ النَّاس يَقُولُونَ: لم يكن فِي الْعَرَبيَّة بعد الصَّحَابَة أذكى مِنْهُ.

مكانته العلمية:

قيل: إن الفراهيدي لشغفه بالعلم دَعَا بِمَكَّة أَن يرزقه الله تَعَالَى علمًا لم يسْبق لَهُ، فَرجع وَفتح عَلَيْهِ بالعروض، وَقد كَانَت لَهُ معرفَة بالإيقاع وَالنّظم، وَهُوَ الَّذِي أحدث لَهُ علم الْعرُوض، فقد نظر في شعر العرب وأحاط بإيقاعاته، ودفعه حسّه المرهف وتذوقه للإيقاع لاستخراج علم العروض، حيث اهتدى إلى أوزان الأشعار وبحورها وقوافيها، وأسدى بمجهوده هذا خدمة جليلة عظيمة للشعر العربي لم يسبقه إليها، وجاراه فيها من أتى بعده، وظلت تُنسب إليه إلى اليوم.

قَالَ عنه السيرافي: كَانَ الْغَايَة فِي اسْتِخْرَاج مسَائِل النَّحْو وَتَصْحِيح الْقيَاس فِيهِ؛ وَهُوَ أول من استخرج الْعرُوض، وَحصر أشعار الْعَرَب بهَا، وَعمل أول كتاب الْعين الْمَعْرُوف الْمَشْهُور الَّذِي بِهِ يتهيأ ضبط اللُّغَة.

أخلاقــه:

كَانَ الشيخ من الزهاد فِي الدُّنْيَا، والمنقطعين إِلَى الْعلم، ويروى عَنهُ أَنه قَالَ: إِن لم تكن هَذِه الطَّائِفَة أَوْلِيَاء فَلَيْسَ لله ولي. وقد وجَّه إِلَيْهِ سُلَيْمَان بن عَليّ من الأهواز. وَكَانَ والِيها . يلْتَمس مِنْهُ الشخوص

إِلَيْهِ وتأديب أَوْلَاده، فَأخْرج الْخَلِيل إِلَى رَسُوله خبْزًا يَابسا وَقَالَ: مَا عِنْدِي غَيره، وَمَا دمت أَجِدهُ فَلَا حَاجَة بي إِلى سُلَيْمَان، وَقَالَ النَّضر بن شُمَيْل: أَقَامَ الْخَلِيل فِي خص بِالْبَصْرَةِ لَا يقدر على فلسين وتلامذته يَكْسِبُونَ بِعِلْمِهِ الْأَمْوَال.

تلاميذه:

ذكرت المصادر أن من تلاميذه الذي أخذوا عنه العلم: سِيبَوَيْهٍ، والأصمعي، وَالنضْر بن شُمَيْل. وعَامة الْحِكَايَة فِي كِتَاب سيبويه عَنهُ؛ وَكلما قَالَ سِيبَوَيْهٍ: "وَسَأَلته"، أَو"قَالَ" من غير أَن يذكر قَائِله فَهُوَ الْخَلِيل.

تصانيفه:

للخليل من التصانيف غير الْعين: كتاب "النعم"، وكتاب "الْجمل في النحو"، وكتاب "الْعرُوض"، وكتاب "الشواهد"، وكتاب "النقط والشكل"، وكتاب "فَائت الْعين"، وكتاب "الْإِيقَاع".

وفاتـه:

توفّي الْخَلِيل سنة خمس وَسبعين وَمِائَة، ورُئي فِي النّوم فَقيل لَهُ: مَا صنع الله بك؟ فَقَالَ: أَرَأَيْت مَا كُنَّا فِيهِ! لم يكن شَيْئا، وَمَا وجدت أفضل من سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْد لله، وَلَا إِلَه إِلَّا الله، وَالله أكبر.

42. الفَيْرُوزأباديُّ

مُحَمَّد بن يَعْقُوب بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الشِّيرَازِيّ الفيروزأبادي الْعَلامَة مجد الدّين أَبُو الطَّاهِر، اللغويُّ، الشافعيُّ، الإمامُ الكبير الماهرُ في اللغة وغيرها من الفنون. ينتسب إلى الشَّيْخ ابي اسحق الشِّيرَازِيّ صَاحب التَّنْبِيه، وَرُبمَا يرفع نسبه الى أبي بكر الصّديق رَضِي الله عَنهُ وَكَانَ يكْتب بِخَطِّهِ الصديقي. ولد سنة تسع وَعشْرين وَسَبْعمائة بكارزين.

رحلاته العلمية:

تفقه الشيخ ببلاده، وَسمع بهَا من مُحَمَّد بن يُوسُف الزرندي الْمدنِي الصَّحِيح، وَنظر فِي اللُّغَة، فَكَانَت جلّ قَصده فِي التَّحْصِيل، فمهر فِيهَا إِلَى أَن بهر وفَاق. ثم ارتحل إلى العراق، ودخل واسط، ثم بغداد، ثم دمشق، وسمع بها من التقيّ السبكيّ وجماعةٍ زيادة على المئة؛ كابن القيم وطبقته. ودخل بعلبك، وحماة، وحلب، والقدس، وسمع من أهل هذه الجهات. واستقر بالقدس نحو عشر سنين، ودرَّس، وتصدَّر، وظهرت فضائلُه، وكثر الأخذ عنه، وتلمذ له جماعةٌ من الأكابر؛ كالصلاح الصفدي، وجال في البلاد الشمالية والمشرقية، ودخل الروم والهند.

ثم دخل اليمن، فوصل إلى "زَبيد" بعد وفاة الجمال الريمي في سنة 799هـ، فتلقاه الملك الأشرفُ إسماعيلُ بالقبول، وبالغ في إكرامه، وأضاف إليه قضاء اليمن كله، وقرأ عليه السلطان ومَنْ دونه في

الحديث، واستقر قدمه في "زبيد" إلى أن مات، وكان السلطان الأشرف قد تزوج ابنته؛ لمزيد جمالها، ونال منه برًا ورفعة.

وفي أثناء هذه المدة قدم مكةَ مرارًا، فجاور بها وبالمدينة والطائف، واقتنى كتبًا نفيسة، حتى قيل: إنه اشترى منها بخمسين ألفَ مثقالٍ من الذهب، وَكَانَ يَقُول: مَا كنت أَنَام حَتَّى أحفظ مِائَتي سطر، وَلَا يُسَافر إِلَّا وصحبته عدَّة أحمال، ثمَّ جال الْبِلَاد شرقا وغربا وَأخذ من علمائها حَتَّى برع فِي الْعُلُوم كلهَا سِيمَا الحَدِيث وَالتَّفْسِير واللغة.

مصنفاتـه:

ترك الشيخ مصنفات كثيرة منها: القاموس المحيط وهو أشهر كتبه، وتنوير المقياس في تفسير ابن عباس، وتفسير فاتحة الكتاب، ونزهة الأذهان في تاريخ أصبهان، والأحاديث الضعيفة، وسفر السعادة في الحديث والسيرة النبوية، وشرح قصيدة بانت سعاد في مجلدين، وشوارق الأسرار العلية في شرح مشارق الأنوار النبوية، ومنية السول في دعوات الرسول صلى الله عليه وسلم، ومهيج الغرام إلى البلد الحرام، والصلاة والبشر في الصلاة على خير البشر، والنفحة العنبرية في مولد خير البرية، وتحفة الراغبين في شرح قصيدة البردة، وزاد المعاد في وزن بانت سعاد.

وفاتـــه:

توفي العلامة أبو البقاء ـ يرحمه الله ـ في ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة.

43. ابْن قتيبة

العَلاَّمَةُ، الكَبِيْرُ، ذُو الفُنُوْنِ، أَبُو مُحَمَّدٍ، عبد الله بن مُسلم بن قُتَيْبَة الدينَوَرِي النَّحْوِيّ اللّغَوِيّ وَقِيْلَ: المَرْوَزِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ العجيبة، والمؤلفات الغريبة.

نَزَلَ بَغْدَادَ، وصَنَّفَ وَجَمَعَ، وَبَعُدَ صِيْتُهُ، كان مولده سنة ثَلَاث عشرَة ومائتين من الهجرة، وكان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر؛ ثِقَة ديّنا، متفنناً في العلوم، وهو صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة.

وقُتَيْبَة تصغير قِتبة بكسر القاف، وهي واحدة الأقتاب، والأقتاب: الأمعاء، وبها سمي الرجل، والنسبة إليه قتبيّ.

مَن حدَّث عنه:

حدَّث عن: إسحاق بن راهويه، ومُحَمَّد بن زياد الزيادي، وأبي الخطاب زياد بن يحيى الحساني، وأبي حاتم السجستاني، وغيرهم.

من رووا عنه:

روى عنه جماعة منهم: ابنه أَحْمَد، وعبيد اللَّه بن عبد الرحمن السكري، وإِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أيوب الصائغ، وعبيد اللَّه بْن أَحْمَد بْن بكير التميمي، وعبد اللَّه بن جعفر بن درستويه الفارسي.

مكانته العلمية:

تبوأ الشيخ مكانة علمية مرموقة، وُلِّي على إثرها قَضَاء الدينور، وكان رأسا في اللّغة والعربيّة والأخبار، وأيّام النّاس، متفننًا في العلوم، وكان إذا خلا في بيته وعمل شيئًا جوّده، وما حكى شيئًا في اللغة إلاّ صدق فيه. قَالَ حَمَّاد بْن هبة الله الحرّانيّ: سمعت أبا طاهر السِّلفيّ ينكر على الحاكم في قوله: لا تجوز الرواية عن ابنُ قُتَيْبَةَ، ويقول: ابنُ قُتَيْبَةَ من الثِّقات وأهل السُّنَّة، وَقَالَ الذَّهَبِيّ: مَا علمت أحدا اتهمَ القتيبي فِي نَقله؛ مَعَ أَن الْخَطِيب قد وَثَّقَهُ، وَمَا أعلم الْأمة أَجمعت إِلَّا على كذب الدَّجَّال ومسيلمة. قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: يُقال هو لأهل السنّة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنّة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة.

مصنفاته:

صنَّف الشيخ مجموعة من المصنفات في معارف مختلفة تدل على سعه اطِّلاعه وغزارة علمة: قرآنية، وحديثية، وفقهية، ولغوية، وأدبية، ونقدية، منها: (غَرِيْبُ القُرْآنِ)، وكتاب(غَرِيْبُ الحَدِيْثِ)، وكتاب (المعَارِفِ)، وكتاب (مُشْكِلِ القُرْآنِ)، وكتاب (مُشْكِلِ الحَدِيْثِ)، وكتاب(أَدَبِ الكَاتِبِ)، وكتاب(عُيُوْنِ الأَخْبَارِ)، وكتاب(طَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ)، وكتاب(إِصْلاَحِ الغَلَطِ)، وكتاب(الفَرَسِ)، وكتاب(الهَجْو)، وكتاب (المَسَائِلِ)، وكتاب (أَعْلاَمِ النُّبُوَّةِ)، وكتاب (المَيْسِرِ)، وكتاب (الإِبِلِ)، وكتاب(الوَحْشِ)، وكتاب(الْكلاب)، وكتاب(الرُّؤيَا)، وكتاب (الفِقْهِ)،

وكتاب (معَانِي الشِّعْرِ) ، وكتاب (جَامِعِ النَّحْوِ)، وكتاب (الصِّيَامِ)، وكتاب (أَدَبِ القَاضِي)، وكتاب (الرَّدِ عَلَى مَنْ يَقُوْلُ بِخَلْقِ القُرْآنِ)، وكتاب (إِعْرَابِ القُرْآنِ)، وكتاب (القِرَاءاتِ)، وكتاب (الأَنوَاءِ) ، وكتاب (التَّسْوِيَةِ بَيْنَ العَرَبِ وَالعَجَمِ)، وكتاب (الأَشرِبَةِ) وكتاب (الحكم والأمثال) ، وكتاب (الوافي بالوفيات)، وكتاب (الرَّد على المشبهة)، وكتاب (الْقَلَم)، وكتاب (الجوابات الْحَاضِرَة)، وكتاب (النَّفس)، وكتاب (السماحة)، وكتاب (مَا قيل فِي الْخَيل من الشّعْر)، وكتاب (ملح الْأَخْبَار)، وكتاب (ذكر النَّبِي ومولده ووفاته)،وكتاب(الفهود) وكتاب (الْمَرَاتِب والمناقب)، وكتاب (التَّسْوِيَة بَين الْعَرَب والعجم)، وكتاب (أدب القَاضِي)، وكتاب (الرَّد على من قَالَ بِخلق الْقُرْآن)،وكتاب (الْحجامَة).

وفاتــه:

كانت وفاته . يرحمه الله . أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين، في خلافة المعتمد.

44. ابْنُ القُرْطُبِيّ

الإِمَامُ، الحَافِظُ، المُحَدِّثُ البَارِعُ، الحُجَّةُ، النَّحْوِيُّ، المُحَقِّقُ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بنُ الحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ بنِ يَحْيَى الأَنْصَارِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، المَالقِيُّ، المَشْهُوْرُ: بِابْنِ القُرْطُبِيّ.كان مَوْلِدُه سَنَةَ بِضْعٍ وَخَمْسِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ.

أساتذتــه:

اختصّ بِأَبِي زَيْدٍ السُّهَيْلِي وَلاَزمهُ، وَسَمِعَ أَيْضًا: أَبَاهُ الإِمَام أَبَا عَلِيٍّ، وَأَبَا بَكْرٍ بن الجَدِّ، وَأَبَا عَبْدِ اللهِ بنَ زَرْقُوْنَ، وَأَبَا القَاسِمِ بن حُبَيْش، وَطَبَقَتَهُم، فَأَكْثَرَ وَجَوَّد، وَأَجَاز لَهُ: أَبُو مَرْوَانَ بنُ قُزْمَانَ، وَأَبُو الحَسَنِ بنُ هُذَيْل، وَطَائِفَة، وَعنِي بِهَذَا الشَّأْن.

مكانته العلمية:

وَرِث ابن القرطبي برَاعَة الحَدِيْث عَنْ أَبِيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَد يُدَانِيه فِي الحِفْظِ وَالجرح وَالتعديل إِلاَّ أَفرَاد مِنْ عصره. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ حَوْط اللهِ: المُحَدِّثُونَ بِالأَنْدَلُسِ ثَلاَثَة: أَبُو مُحَمَّدٍ بنُ القُرْطُبِيّ، وَأَبُو الرَّبِيْعِ بن سَالِمٍ، وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِث، فَيَرَوْنَهُ عَنَى نَفْسه، وَقَدْ كَانَ ابْنُ القُرْطُبِيّ ذَا عَظَمَة فِي النُّفُوْس عِنْد الخَاصَّة وَالعَامَّة، أَخَذَ النَّاس عَنْهُ، وَانتفعُوا بِهِ.

قَالَ الْأَبَّار: وَكَانَ من أهل المعرفة التَّامة بصناعة الحديث والبَصَر بها، والإتقان والحِفظ لأسماء الرِّجال، والتَّقَدُّم في ذَلِكَ، مَعَ المعرفة بالقراءات، والمشاركة في العربية، وقد نُوظرَ عَلَيْهِ في " كتاب" سِيبَوَيْه، وقد تصَدَّرَ للإقراءِ وتدريس العلم ابنَ عشرينَ سنةً أو نحوِها.

وكان أبو محمد ابنُ القُرْطُبِيّ من كُبَّرِ مفاخرِ زمانِه، قُرئَ عليه يومًا بابُ الابتداء بالكَلِم التي يُلفَظُ بها من "إيضاح" الفارسيّ، وكان أحسَنَ الناسِ قيامًا عليه، فتكلَّم على المسألةِ الواقعة في ذلك الباب، المتعلِّقة بعلم العَروض، وكان في الحاضِرينَ مَنْ أحكَمَ صناعةَ العَروض فجاذَبَه الكلامَ في المسألة وضايَقَه في المباحثة، حتّى أحسَّ

الأستاذُ من نفْسِه التقصير، إذْ لم يكُنْ له قَبْلُ كبيرُ نَظَرٍ في العَروض، فكفَّ عن الخَوْض في تلك المسألة، وهمَّه ذلك وشَغَلَ بالَه واشتَدَّ عليه، وانصرَفَ إلى منزله وعَكَفَ سائرَ يومِه على تصفُّح عِلم العَروض حتّى فَهِمَ أغراضَه وحَصّلَ قوانينَه وصنَّفَ فيه مختصَرًا نبيلًا لخَّصَ في صَدْرِه فَرْشَه، وأبدَعَ فيه بنَظْم مثلِه في صدورٍ خمسة، لخمسِ دوائرِ الشِّعر العَرَبي، ينفَكُّ من كلِّ صدرٍ أشطارُ دائرته وأعاريضُها، ونَظَمَ لكلِّ شطرٍ أيضًا عَجُزًا تُعرَفُ به أنواعُ ضروبِه، وجاء به الغَدَ مُعجِزًا مَن رآه أو سَمِع به، فبُهِتَ الحاضِرونَ وقضَوا العَجبَ منَ اقتدارِه وذكائه ونفوذِ فَهْمِه وسموِّ همّتِه.

مُلْحَة:

ومن الملح والنوادر في حياة الشيخ ما ذكر من دلائلِ عناية الله به تبشيرُه إيّاه بالنَّجاةِ من النّار، وذلك فيما حَكَاه تلميذُه الأخصُّ به أبو أحمد جعفرُ بن زَعْرورٍ العامِليّ، وكان خيّرًا ديّنًا فاضلًا، قال: بِتُّ ليلةً معَ الأستاذِ أبي محمد في دُوَيْرته التي كانت له بجبل فارُه، وكان اتّخاذُه إيّاها هنالك ليَنفردَ بها لمطالعةِ كُتبِه والنظرِ في أمورِ دِينِه، فنامَ الأستاذُ في ساعة كنتُ فيها يَقْظانَ، فرأيتُه قد استَيْقَظَ من نومِه ضاحكًا مستبشِرًا مَسْرورًا، وهو يشُدُّ يدَه كمَن قَبَضَ على شيءٍ نَفيس، قال أبو أحمد: فسألتُه عما شاهدتُه منه، فقال: كنتُ أرى عَجَبًا، كأنّ الناسَ قد حُشِروا للعَرْض على الله تعالى، وكأنّ رَبَّ العِزّة قد تَجلَّى لهم، فكان يُؤتَى بالمحدِّثينَ للعَرْض على الله تعالى، فكنتُ أرى أبا عبد

اللهِ النُّمَيْرِيَّ ـ رحمه الله ـ يؤتَى به فيوقَفُ بين يدَيْ ربِّه، وأظُنُّه قال: فيُعطَى براءتَه من النار، ثم يُؤتَى بي فأُوقفُ بين يَدَيْ ربِّي فيُعطيني براءتي من النار، فأستَيقظُ وأنا أَشُدُّ عليها يَدِي فَرَحًا بها واغتباطًا، والحمدُ للهِ.

وفاتـه:

توفي ـ يرحمه الله ـ بِمَالَقَة، خَطِيْباً بِهَا، فِي رَبِيْعٍ الآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّ مائَةٍ.

45. ابْنُ القَطَّاعِ

الإمام اللغوي المشهور العَلاَّمَةُ شَيْخُ اللُّغَة أَبُو القَاسِمِ عَلِيُّ بنُ جَعْفَرِ بنِ عَلِيٍّ السَّعْدِيّ الصَّقَلِي، المعروف بابْنُ القَطَّاعِ، قال ياقوت الحمويّ: كان أبوه جعفر ذا طبقة عالية في اللّغة والنّحْو، وجدّه عليّ شاعر محسِن، مَدَح الحاكم، ووُلّي ديوان الخاصّة، وجدّ أبيه من الشّعراء أيضًا، وكذلك جدّهم الأعلى الحسين بن أحمد، وكان ذكيًا شاعرًا، راوية للآداب، وَلَهُ نَظْمٌ جَيِّد، وَفضَائِل، كان مولده بصقلية سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

رحلاته العلمية:

قرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله، وكان مما روى عنه كتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، ومن طريقه اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق، وقد أجاد في النحو غاية الإجادة، ورحل عنها عند إشراف الروم على أخذها، فوصل مصر سنة خمسمائة فبالغوا فِي إكرامه وأحسنت الدولة إِلَيْهِ، وتصدر للإفادة.

كان نقّاد المصريّين ينسبونه إلى التّساهل في الرواية، وذلك لأنّه لمَّا قدِم سألوه عن كتاب "الصَّحاح" للجوهريّ، فذكر أنّه لم يصل إلى صَقَلّية، ثمّ إنّه لمَّا رأى اشتغالهم به ركَّب له إسنادًا، وأخذه النّاس عنه مقلّدين له.

تلاميذه:

من تلاميذه: أبو البركات محمد بن حمزة التنوفي، وأبو الحسن هبة الله

بن على بن الحسن، وأسد بن على بن معمر الحسيني الحوابيني، وأبو محمد بن موسى الخزاعي، وعبد الله بن بري بن الجبار المصري النحوي اللغوي وهو من أشهر تلاميذه.

مصنفاته:

كان ابن القطاع واسع الثقافة، فياض المعرفة، غزير العلم، تعددت روافده الثقافية فتنوع عطاؤه، وقد أثرى المكتبة العربية بمجموعة من التصانيف منها: كتاب الدرّة الخطيرة في شعراء الجزيرة، اشتملت على مائة وسبعين شاعرًا وعشرين ألف بيت شعر، وكتاب

الأسماء في اللغة جمع فيه أبنية الأسماء كلها، وكتاب الأفعال هذّب فيه أفعال ابن القوطية وأفعال ابن طريف وغيرهما في ثلاث مجلدات، لم يؤلف في معناه أجلَّ منه على اختصاره، وله حواش على كتاب الصحاح نفيسة وعليها اعتمد أبو محمد ابن بريّ النحوي المصري في ما تكلم عليه من حواشي الصحاح، وكتاب فرائد الشذور وقلائد النحور في الأشعار، وكتاب العروض والقوافي، وكتاب ذيل تاريخ صقلية، وكتاب الأبنية، أبنية الأسماء والأفعال، جمع فيه فأوعى، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه، وله عروض حسن جيد، وكتاب "لمح الملح" جمع فيه خلقاً من شعراء الأندلس.

وفاتــه:

تُوُفِّيَ . يرحمه الله . سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مائَة، عَنِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً.

46. قُطْرُب

مُحَمَّد بن المستنير أَبُو عَليّ النَّحْوِيّ اللّغَوِيّ الْبَصْرِيّ مولى سَالم بن زِيَاد الْمَعْرُوف بقطرب، أحد العلماء بالنحو واللغة والأدب، سُمي قطربًا لأنه كان يبكر إلى أستاذه سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة للأخذ عنه والقراءة عليه، فكان لا يخرج لصلاة الصّبح إلاّ رآه على بابه، وكذا عشيّة، فقال له يومًا: ما أنت إلا قطرب ليل! والقطرب دويبة تدبّ ولا

تفتر؛ فلقب بذلك. قال فيه المبرّد: أحفظ من أخذ عن سيبويه الأخفش، ثم الناشي، ثم قطرب.

أساتذتــه وتلاميذه:

أخذ قطرب النحو عن سيبويه، وأخذ عن عيسى بن عمر وجماعة من علماء البصرة، وأخذ عن النظام المتكلم إمام المعتزلة، وكان على مذهبه. ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه في الجامع فخاف من العامة وانكارهم عليه؛ لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع.

اتصل قطرب بأبي دلف العجلي القاسم بن عيسى العجلىّ صاحب الكرخ وأدب ولده، وكان ابنه الحسن بن قطرب يؤدّبهم فيما بعد.

كما نزل قطرب بغداد، وسُمِعَ منه بها أشياء من تصانيفه، وروى عنه محمد بن الجهم السِّمَّرِيُّ، وكان موثقا فيما يحكيه، وقد أخذ عنه ابن السكيت.

تصانيفــه:

ترك قطرب للمكتبة العربية مجموعة من المصنفات المتنوعة في اللّغة، والنّحو، والعروض، ومعاني الشّعر وغيرها، منها: كتاب (معانى القرآن) لم يسبق إلى مثله وعليه احتذى الفراء، وكتاب الاشتقاق، وكتاب القوافي، وكتاب النوادر، وكتاب الأزمنة، وكتاب المثلث، وكتاب الفرق، وكتاب الأصوات، وكتاب الصفات، وكتاب العلل في النحو،

وكتاب الأضداد، وكتاب خلق الفرس، وكتاب ما خالف فيه الإنسان البهيمية الوحوش وصفاتها، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب غريب الحديث، وكتاب الهمز، وكتاب فعل وأفعل، وكتاب الردّ على الملحدين في تشابه القرآن، وكتاب غريب المصنف.

ويعد كتابه (المثلث) من أشهر مصنفاته، وهو أول من وضع المثلث في اللغة، وكتابه وإن كان صغيرًا، إلا أن له فضيلة السبق، وبه اقتدى عبد الله بن السيد البطليوسي، وكتابه كبير، وللخطيب أبي زكريا التبريزي مثلث كبير أيضا.

وفاتــه:

توفي أبو علي ـ يرحمه الله ـ ببغداد سنة ست ومائتين من الهجرة.

47. ابن القُوطيَّة

علَّامة الأَدَبِ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ الأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ النَّحْوِيُّ، ابن القُوطيَّة صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، لقي أكثر مشايخ عصره بالأندلس فأخذ عنهم وأكثر النقل من فوائدهم، وروى عنه الشيوخ والكهول، وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة، كان ذا علم وذا خلق بشهادة معاصريه، والقوطية نسبة إلى القوط، وهم ينسبون إلى قوط بن حام بن نوح كانوا بالأندلس من أيام إبراهيم عليه السلام.

أساتذته:

سمع أبو بكر ابن القوطية من قاسم بن أصبغ وابن الأغبس وأبي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب بن مغيث، وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز، وسمع بإشبيلية من محمد بن عبد الله بن الفرق وسعيد بن جابر وحسن بن عبد الله الزبيدي وغيرهم، ولقي أكثر مشايخ عصره بالأندلس؛ فأخذ عنهم وأكثر النقل من فوائدهم، وروى عنه الشيوخ والكهول، وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة.

مكانته العلمية:

كان أعلم أهل زمانه باللغة والعربية، إمامًا مقدمًا فيهما، وأروى أهل عصره للأشعار والأخبار، لا يشقّ في ذلك غباره ولا يلحق شأوه، وكان مع ذلك فقيهًا متمكنًا حافظًا للحديث والآثار، غير أنه لم يكن له في ذلك أصول يرجع إليها فلم يكن ضابطًا للرواية، وكان ما يسمع منه من ذلك إنما يحمل على المعنى دون اللفظ، وكان كثيرًا ما يقرأ عليه ما لا رواية له فيه على سبيل الضبط والتصحيح، وكان مضطلعًا بأخبار الأندلس راوية لسير ملوكها وأمرائها وعلمائها وشعرائها حافظًا لأخبارهم يملي ذلك عن ظهر قلبه، وكان أكثر ما يؤخذ عنه ويقرأ عليه كتب اللغة.

ولما دخل أبو علي القالي الأندلس اجتمع به، وكان يبالغ في تقديمه وتعظيمه، حتى قال له الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن: من أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة؟ فقال: أبو بكر ابن القوطية، ومما كان

يزين علمه وفضله اتصافه بالزهد والتقوى والنسك، وكان في أول أمره ينظم الشعر بالغًا فيه حدّ الإجادة مع الإحسان في المطالع والمقاطع وتخير الألفاظ الرشيقة والمعاني الشريفة، ثم ترك ذلك وأقبل على النسك والانفراد.

قال الثعالبي: أخبرني أبو سعيد ابن دوست قال أخبرني الوليد بن بكر الفقيه أن أبا بكر يحيى بن هذيل الشاعر زار يومًا ابن القوطية في ضيعة له بسفح جبل قرطبة كان منفردًا فيها عن الناس، فألفاه خارجا منها، فلما رآه ابن القوطية استبشر به، فبادره يحيى بن هذيل ببيت حضره على البديهة فقال:

مِنْ أينَ أقبلتَ يا منْ لا شبيهَ لهُ

وَمنْ هو الشمسُ والدنيا له فلكُ.

فتبسم وأجابه مسرعا بقوله:

مِنْ منزلٍ يُعجبُ النساكَ خلوتُهُ

وفيهِ سترٌ على الفتّاكِ إنْ فتكوا.

قال ابن هذيل: فما تمالكت أن قبلت يده إذ كان شيخي وأستاذي، وكان الشعر أقلّ صنائعه لكثرة علومه وغرائبه.

تصانيفه:

من تصانيفه كتاب تصاريف الأفعال، وهو أول مصنف في ذلك، ثم تبعه ابن القطّاع السعدي فوضع كتابه على منواله، وكتاب المقصور والممدود، جمع فيه فأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله

وفاق به من تقدمه، وله شرح أدب الكتاب، وتاريخ الأندلس، وغير ذلك.

وفاتـه:

توفي ابن القوطية . يرحمه الله . يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الأول سنة سبع وستين وثلاثمائة بمدينة قرطبة.

48. الكسائي

الإِمَامُ، شَيْخُ القِرَاءةِ وَالعَرَبِيَّةِ، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ بَهْمَنَ بنِ فَيْرُوْزٍ الأَسَدِيُّ مَوْلاَهُمْ الكُوْفِيُّ، المُلَقَّبُ: بِالكِسَائِيّ؛ لِكِسَاءٍ أَحرَمَ فِيْهِ. أحد الْقُرَّاء السَّبْعَة، ومؤدب الخليفة هارون الرشيد ومعلمه، ومؤدب ولديه الأمين والمأمون.

أساتذته:

أخذ الكسائي عن أبي جعفر الرؤاسي، ومعاذ الهراء، وكان أحد أئمة القراء السبعة، قرأ القرآن على حمزة الزيات أربع مرات، وَقَرَأَ على مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن ابْن أبي ليلى عرضًا. وروى عَن جَعْفَر الصَّادِق، وَالْأَعْمَش وَسليمَان بن أَرقم، وَأبي بكر ابْن عَيَّاش. واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السبع، فأقرأ بها الناس، وقرأ عليه بها خلق كثير بِبَغْدَادَ وبالرقة وغيرهما من البلاد، وحُفظت عنه.

مكانته العلمية:

تبوأ الإمام الكسائي منزلة رفيعة بين علماء عصر، جعلت ممن لا يجرب عليهم الكذب يشهدون له بذلك، فالقاصي والداني قد شهدًا بإمامته في علوم العربية والقراءة، فضلا عن تلاميذه الذين أخذوا عنه، ناهيك عما كان له من حظوة عند الخليفة الرشيد. وهذا بعض مما جاء عن مكانته:

قال عنه الشافعي: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَحَّرَ فِي النَّحوِ، فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى الكِسَائِيّ. وقَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيّ: اجْتَمَعَ فِيْهِ أَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالنَّحوِ، وَوَاحِدَهُم فِي الغَرِيْبِ، وَأَوحَدَ فِي عِلْمِ القُرْآنِ. كَانُوا يُكْثِرُوْنَ عَلَيْهِ، فَكَانَ يَجمَعُهُم، وَيَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيٍّ، وَيَتْلُو، وَهُم يَضبِطُوْنَ عَنْهُ، حَتَّى الوُقُوفِ. وقَالَ إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ: سَمِعْتُ الكِسَائِيَّ يَقرَأُ القُرْآنَ عَلَى النَّاسِ مَرَّتَيْنِ. وَعَنْ خَلَفٍ قَالَ: كُنْتُ أَحضُرُ بَيْنَ يَدَيِ الكِسَائِيّ وَهُوَ يَتْلُو، وَيُنَقِّطُونَ عَلَى قِرَاءتِهِ مَصَاحِفَهُم. تَلاَ عَلَيْهِ: أَبُو عُمَرَ الدُّوْرِيُّ، وَأَبُو الحَارِثِ اللَّيْثُ، وَنُصَيْرُ بنُ يُوْسُفَ الرَّازِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بن مِهْرَانَ الأَصْبَهَانِيُّ، وَأَحْمَدُ بنُ أَبِي سُرَيْجٍ، وَأَحْمَدُ بنُ جُبَيْرٍ الأَنْطَاكِيُّ، وَأَبُو حَمْدُوْنَ الطَّيِّبُ، وعيسى بن سليمان الشيزري، وعدة. وَمِنَ النَّقَلَةِ عَنْهُ: يَحْيَى الفَرَّاءُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ، وَخَلَفٌ البَزَّار.

وقد اجتمعت للكسائي أمور لم تجتمع لغيره، فكان واحد الناس في القرآن، يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إِلَى آخره، وهم يسمعون حتى كان بعضهم ينقط المصاحف على قراءته، وآخرون يتبعون مقاطعه

ومبادئه، فيرسمونها فِي ألواحهم وكتبهم، وكان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم فِي الغريب.

وَصَفَهُ صاحب معجم المؤلفين بالمقرئ، والمجود، واللغوي، والنحوي، والشاعر. روى ابن أبي سعد قال: حدثني ابن طهمان قال: سمعت ـ والله ـ الفراء يحيى يقول: مدحني رجل من النحويين فقال: ما اختلافك إلى الكسائيّ وأنت مثله في العلم؟ قال: وأعجَبَتْنِي نفسي فناظرته مناظرة الْأَكفاء؛ فكأنّي كنتُ طائرًا يغْرِف بمنقاره من بَحْرٍ.

وقد تُوفي الرجل وما ترك غير العلم، وظلت قراءته التي عُرف بها شاهدةً له عند ربه، نقل صاحب تاريخ بغداد، قَالَ: سنة تسع وثمانين فيها توفي مُحَمَّد بْن الحسن الفقيه، وعلي بْن حمزة الكسائي فِي يوم واحد، وقرأت على الحسن بْن أَبِي بكر عَن أَحْمَد بْن كامل القاضي، قَالَ: ومات الكسائي بالري فِي سنة تسع وثمانين ومائة، وكان عظيم القدر فِي دينه، وفضله.

وإدراكا لما حل بالأمة من فقد لموت هذين العلمين قال الرشيد لما رجع إلى العراق: اليوم دَفنت الفقه والنحو برنبويه.

ملح ونوادر:

كانت للكسائي مكانة مرموقة، لم يكن لينالها غيره خاصة عند طلابه حتى مَن كانوا مِن بيت الخلافة، ولعل حادثة الأمين والمأمون مع الكسائي عندما همَّ ليلبس نعليه ـ وقد تناقلتها مصادر عدة ـ خير شاهد على ذلك، قال الصفدي في الوافي بالوفيات: أشرف الرشيد عَلَيْهِ يَوْمًا

وَهُوَ لَا يرَاهُ فَقَامَ الْكسَائي ليلبس نَعْلَيْه فابتدر الْأمين والمأمون فوضعاها بَين يَدَيْهِ فَقبل رؤوسهما وأيديهما وَأقسم عَلَيْهِمَا أَن لَا يعاودا ذَلِك أبدًا، فَلَمَّا جلس الرشيد مَجْلِسه، قَالَ أَي النَّاس أكْرم خدمًا؟ قَالُوا: أَمِير الْمُؤمنِينَ أعزه الله تَعَالَى. فَقَالَ: بل الْكسَائي، يَخْدمه الْأمين والمأمون وَحَدَّثَهُمْ الحَدِيث.

قال ابن الدّورقي: اجتمع الكسائيّ واليزيدي عند الرشيد، فحضرت الصّلاة فقدّموا الكسائي يصلي، فأُرْتِجَ عليه في قراءة: قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ، فقال اليزيدي: قراءة قُلْ ياأَيُّهَا الْكافِرُونَ ترتج على قارئ الكوفة! قال: فحضرت صلاة فقدموا اليزيدي، فأرتج عليه في سورة الحمد، فلما سلَّم قال:

احفظ لسانك لا تقول فتُبتلى *** إن البلاء موكّل بالمنطق.

وروى الخطيب البغدادي قال: حَدَّثَنَا أَبُو مسحل، قَالَ: رأيت الكسائي فِي النوم كأن وجهه البدر، فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قَالَ: غفر لي بالقرآن. فقلت: ما فعل بحمزة الزيات؟ قَالَ: ذاك فِي عليين ما نراه إلا كما يرى الكوكب الدري.

أَخْبَرَنِي الخلال، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عمران، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيم بْن أَحْمَد البزوري، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن الحسن، قَالَ: سمعت مُحَمَّد بْن يَحْيَى، قَالَ: سمعت أبا مسحل عَبْد الوهاب بْن حريش، قَالَ: رأيت الكسائي فِي النوم، فقلت له: ما فعل اللَّه بك؟ قَالَ: غفر لي بالقرآن. قلت: ما فعل بحمزة الزيات، وسفيان الثوري؟ قَالَ: فوقنا، ما

نراهم إلا كالكوكب الدري. قَالَ مُحَمَّد بْن يَحْيَى: فلم يدع قراءته حيًا، ولا ميتًا.

تواضعه:

كان شيخ القراء الإمام الكسائي ذَا مَنْزِلَةٍ رَفِيْعَةٍ عِنْدِ الرَّشِيْدِ، وَأَدَّبَ وَلَدَيهُ الأَمِيْنَ والمأمون، وكانت العربية علمه وصناعته، وَنَالَ من ذلك جَاهًا وَأَمْوَالاً. قال عنه الجاحظ: كان أثيرًا عند الخليفة، حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين.

ورغم هذه المكانة التي لم يحظَ بها أحد مثله في عصره، نراه لا ينزه نفسه عن اللحن أو الوقوع في الخطأ، وتلك سمة قلَّ أن توجد إلا في العلماء العاملين الذين يعرفون للعلم جلاله وهيبته.

كان الرجل عظيم القدر في أدبه وفضله، لكنَّه كان يخشى الوقوع في الزلل، ليس من شعور باضطراب مؤشر الثقة في نفسه، وإنما إدراكًا للتبعات الثقال الملقاة على عاتقه. يُحكى عن الفراء أنه قال: دخلت على الكسائي يومًا، وكان يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد، يوجه إليّ ليحضرني فيسألني عن شيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عيب، وإن بادرت لم آمن من الزلل، قال: فقلت: يا أبا الحسن، منَ يعترض عليك؟ قل ما شئت، فأنت الكسائي، فأخذ لسانه، وقال قطعه الله إذن إذا قلت ما لا أعلم.

رُوي عنه ـ يرحمه الله ـ قال: صَلَّيْتُ بِالرَّشِيْدِ، فَأَخْطَأْتُ فِي آيَةٍ، مَا أَخْطَأَ فِيْهَا صَبِيٌّ، أردت أن أقول: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} فقلت: لعلهم يرجعين. فوالله ما اجترأ هارون أن يَقُولُ لي أخطأت، ولكنه لما سلمت، قَالَ لي: يا كسائي، أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، فقال: أما هذا فنعم!

وعَن خلف، قَالَ: كان الكسائي إذا كان شعبان وضع له منبر، فقرأ هو على الناس فِي كل يوم نصف سبع يختم ختمتين فِي شعبان، وكنت أجلس أسفل المنبر، فقرأ يومًا فِي سورة الكهف أنا أكثر منك، فنصب أكثر فعلمت أنه قد وقع فيه، فلما فرغ أقبل الناس يسألونه عَن العلة فِي " أكثرَ" لمَ نصبه؟ فثُرتُ فِي وجوههم أنه أراد فِي فتحه أقل {إن ترني أنا أقل منك مالا}، فقال الكسائي: أكثرُ. فمحوهم من كتبهم، ثم قَالَ: يا خلف، يكون أحد بعدي يسلم من اللحن؟ قَالَ: قلت: لا، أما إذا لم تسلم أنت، فليس يسلم أحد بعدك. قرأتَ القرآن صغيرًا، وأقرأتَ الناس كبيرًا، وطلبتَ الآثار فيه والنحو.

هكذا كان الكسائي عالمًا إنسانا متواضعًا، لم يرَ نفسه ممن يعيشون في برج عاجيّ، بل يرى أن قد يخطئ ويصيب، وليس من أحد يدَّعِي أنه معصوم إلا الأنبياء. وها هو ـ يرحمه الله ـ يعترف ببشريته التي تخطئ وتصيب، فيما نقله عن الفراء قال: ربما سبقني لساني باللحن، فلا يمكنني أن أرده؟ أو كلامًا نحو هذا.

تشويه وإساءة لا سند لهما:

لم تسلم هذه الشخصية الفريدة التي وهبت نفسها للعلم والبحث والدرس ـ كما رأينا ـ في إقراء كتاب الله، والتأليف في اللغة والنحو والإخلاص في ذلك؛ إذ وُجهت إليها سهام التجريح للنيل من شخصية هذا الشيخ الإمام، بغرض الانتقاص من قيمة الرجل العلمية والطعن في أخلاقه. لكنَّ هذه السهام ما لبثت أن طاشت أمام الدروع الحصينة من المواريث التي خلفها ـ يرحمه الله ـ في شتى مناحي العلوم فضلا عن شهادات أساتذته وتلاميذه ومعاصريه.

فهل يعقل أن تتواتر الأخبار عن عِلْم الشيخ في القراءات وإقراء الناس وتعليمهم، وتقدمه في إمامة الناس من قبل ذوي السلطان، وتبوئِهِ مكانة عظيمة قلَّ أنْ يحظى بها أقرانه... وأن يؤتمن على تأديب أبناء الخلفاء!... هل يعقل مع كل هذا أن يكون هذا الشيخ صاحب شراب، بل ويطعن في إيمانه وأخلاقه بأنه كان يأتي...؟ أي منطق يقول بهذا الهراء، أو حتى يقبل به؟

ولئن صحت الرواية القليلة الضعيفة التي لم تتناقلها إلا قلة قليلة من كتب التراجم، وعن شخص واحد يدعى ابن الإعرابي؛ فكيف يُؤتمن المقصود بالرواية على الوحي الخاتم ويهرع إليه الناس ليأخذوا عنه الإقراء لكتاب الله؟ وأن تجلس الجموع بين يديه معلمًا ومقرئًا؟ بل وتعيش قراءته بين القراءات السبع الشهيرات إلى اليوم! ومَنْ هذا الذي تشد الرحال إليه طلبًا للعلم وفي سيرته شيء ـ ولو كان يسيرًا ـ يقدح في شخصيته؟ وكيف للخليفة أمير المؤمنين أن يُئوي أمثال

هؤلاء، وأن يفسح لهم في مجلسه وفي بيته، بل ويأتمنهم على تنشئة وتأديب الخلفاء من بعده، وفيه ما قِيل؟ وكيف له أن يرتقي في بلاط الخلافة كما رأينا من مرتبة المؤدبين إلى مرتبة الجلساء والمؤانسين، وعيون الخلافة وآذانها التي لا تنام ترصد كل ما يُقال أو يُفعل هنا وهناك؟

هذا مالا يقول به عاقل، ما هذا إلا إفك مفترى، ولا يمكن أن يثبت أمام بحث علمي نزيه. فأمام هذا الكم الكبير من الروايات والأخبار التي لم تذكر سوأة واحدة للرجل، أو مثلبة واحدة تقدح في هذه الشخصية المتفردة ـ لا يملك الباحث إلا أن يطعن في الأخبار التي حاولت هذه المحاولة الآثمة، وأن يرد هذا البهتان. وما على المحققين والمنقحين لتراثنا إلا أن يتنزهوا عن ذكر هذه المطاعن، ويترفعوا عن نقل هذا الفحش، ليس تعصبًا للرجل، بل هو انتصارٌ للحق والعدل، ودفاعٌ عن أئمتنا وعلمائنا رحمهم الله. ولله در اليزيدي إذ رثا الفقيدين فقيدي الفقه والنحو: محمد بن الحسن، والإمام الكسائي قائلا:

أَسيتُ على قاضي القضاة محمَّدٍ
فأَذريتُ دمْعِي والفؤادُ عميدُ
وأفزعني موتُ الكسائيّ بعدَه
فكادت بيَ الأرض الفضاء تميدُ
وأذهلني عَن كل عَيْش وَلَذَّة
وأرق عَيْني والعيون هجود

هما عَلَمان أَوْديَا وتُخرِّمَا
فما لهما في العالمينَ نديدُ

تلاميذه:

تلاَ عَلَى الكسائي جمع منهم: أَبُو عُمَرَ الدُّوْرِيُّ، وَأَبُو الحَارِثِ اللَّيْثُ، وَنُصَيْرُ بنُ يُوْسُفَ الرَّازِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بن مِهْرَانَ الأَصْبَهَانِيُّ، وَأَحْمَدُ بنُ أَبِي سُرَيْجٍ، وَأَحْمَدُ بنُ جُبَيْرٍ الأَنْطَاكِيُّ، وَأَبُو حَمْدُوْنَ الطَّيِّبُ، وعيسى بن سليمان الشيزري، وَمِنَ النَّقَلَةِ عَنْهُ: يَحْيَى الفَرَّاءُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ، وَخَلَفٌ البَزَّارُ.

تصانيفه:

صنَّف الكسائي مجموعة الكتب منها: مَعَاني الْقُرْآن، والمتشابه في القرآن، ومقطوع القرآن وموصوله، والمخْتَصر فِي النَّحْو، والْقرَاءَات، والنَّوَادِر: الْكَبِير، والْأَوْسَط، والْأَصْغَر، والْعدَد، والهجاء، والمصادر، والْحُرُوف، وأشعار المعاياة، وما يلحن فيه العوام، وَغير ذَلِك.

وفاته:

توفي الكسائي ومحمد بن الحسن . رحمها الله . في سنة ثلاث وثمانين ومائة، ودفنهما الرشيد بقرية يقال لها: رنبويه، وقال: اليوم دفنت الفقه واللغة.

49. المالقي

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقي، يكنى أبا جعفر، من أهل مالقة، ويعرف بيته بها ببني راشد. كان مولده في رمضان من عام ثلاثين وستمائة.

أساتذتـه:

قال صاحب الإحاطة: أخذ المالقي القرآن قراءة على طريقة أبي عمرو والدّاني على الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي ريحانة المربلّي، ولا يعلم له في بلده شيخ سواه، إذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ، والحمل عنهم، لقي أبا الحسن بن الأخضر المقرئ العروضي بسبتة، وذاكره في العروض، قرأ معه الجزوليّة على ابن مفرّج المالقي تفقهًا، وروى عن أبي الحجّاج تيسير أبي عمرو الداني، وجمل الزّجّاجي، وأشعار الستّة، وفصيح أحمد بن يحيى بن ثعلب.

مكانته العلمية:

كان قيّمًا على العربية إذ كانت جلّ بضاعته؛ يشارك مع ذلك في المنطق، على رأي الأقدمين، وعروض الشعر، وفرائض العبادات من الفقه، وقرض الشعر، كان ذكيّ الصوت عند قراءة القرآن، خاشعًا به.

رحل من بلده مالقة إلى سبتة، ثم انتقل إلى الأندلس، وتردّد بين ألمريّة وبرجة، يقرئ بها القرآن، وغير ذلك مما كان يشارك فيه، وناب عن بعض القضاة وقتًا، ودخل غرناطة أثناء هذا السّفر.

مصنفاتـه:

أثرى الشيخ المكتبة العربية بمجموعة من التصانيف منها: كتاب (الحلية في ذكر البسملة والتصلية)، وكتاب (رصف المباني في حروف المعاني) وهو أجلّ ما صنّف وممّا يدلّ على تقدّمه في العربية، وجزء في العروض، وجزء في شواذّه، وكتاب في شرح الكوامل لأبي موسى الجزولي، وكتاب شرح مغرب أبي عبد الله بن هشام الفهري، المعروف بابن الشّواش، ولم يتمّ، انتهى فيه إلى همزة الوصل، وله إملاء على "مقرب" ابن عصفور.

ويدل كتاب (رصف المباني) على المنهجية العلمية التي تبناها المالقي في معالجته لموضوعه إذ كان الاستقصاء والترتيب والإفادة من أقوال العلماء، وما كان بينهم من مناقشات وجدال، واضحًا في موضوعات الكتاب. ويمكن القول: إن الناس لم تقف على كتاب يمتاز بالرصد والشمول كما ينمّ عليه كتابه، وهو ما يعني أنه كان هناك تراث ضخم لدى المالقي في هذا الباب، وأنّ هذا التراث كان يعوزه الذي يفيد منه، فيجمع قواعد كلّ أداة في باب معيّن، فجاء المالقي فصنّف هذا السفر، وقد أراد أن يكون كتابه أكثر تركيزًا، فاختص بالحروف وبحث فيها على منهج يشمل حروف العربية جميعها.

وفاتـه:

توفي ـ يرحمه الله ـ بألمرية يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام اثنين وسبعمائة.

50. ابْنُ مَالك

لا يعرفُ دارسو العربية في أيام الطلب الأولى وكتابا ذاع صيته بينهم يعادل (أَلْفِيَّةُ ابْنُ مَالِكٍ)؛ لما لهذا الكتاب من دور في تثبيت قواعد العربية من نحو وصرف في عقول الناشئة من طلاب العلم، وقد أُشتُهر ابن مالك بين الدارسين بهذا الكتاب رغم ما تركه للعربية ودارسيها من مؤلفات جليلة لا تقل ـ إنْ لم تفقْ ـ شهرة عن الألفية.

نسبه ومولده:

هو إِمَام النُّحَاة وحافظ اللُّغَة، ترجمان الأدب، وحجة لسان العرب، صاحب التصانيف، وواحد الزمان في علم اللسان، العَلامَة الأوحد مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الله بن مَالك الْعَلامَة جمال الدّين أَبُو عبد الله الطَّائِي الجَيّاني الشَّافِعِي النَّحْوِيّ، يعود نسبه إلى جيّان من بلاد الأندلس، وقد أُختلف في سنة مولده فقيل ستمائة من الهجرة، وقيل سنة ستمائة وواحد.

حياته وطلبه للعلم:

لم تذكر كتب التراجم والموسوعات شيئًا عن نشأة ابن مالك وأسرته، وإنّما ذكرت أغلب المصادر أنّ الرجل ولد بـ (جيان) في الأندلس ثم رحل إلى المشرق، وهو في ريعان شبابه، حيث عاش في دمشق وأقامَ بها يصنف ويشتغل بالتدريس والتأليف، ولعلّ سبب إقامة الشيخ في دمشق ـ فضلا عن كونها حاضرة من حواضر العلم في

العالم الإسلامي . يعود للاستقرار النسبي الذي حظيت به على أيدي صلاح الدين الأيوبي وأولاده، لأنّ المصنفَ عاش في عصر مليء بالأحداث السياسية المهمة في الداخل والخارج، وكانت أيامه مصبوغة بالدماء، وانعدام الاستقرار في أغلب البلاد العربية، بسبب حروب الصليبيين، وغارات الإفرنج، وهجوم التتر، ونزاع بني أيوب، وعلى الرغم من تلك الحوادث التي عاصرها المصنف ظلّ يتردد على حلقات العلم، ومجالسة كبار العلماء، وتعليم الناشئة وتثقيفهم، وقراءة آثار السابقين، والتأليف.

أساتذتـه:

قَالَ أَبُو حَيَّان: بحثت عَن شُيُوخه فَلم أجد لَهُ شَيخًا مَشْهُورًا يعْتَمد عَلَيْهِ، وَيرجع فِي حل المشكلات إِلَيْهِ؛ إِلَّا أَن بعض تلامذته ذكر أنه قَالَ: قَرَأت على ثَابت بن حَيَّان، وَجَلَست فِي حَلقَة أبي عَليّ الشلوبَين نَحوًا من ثَلَاثَة عشر يَوْمًا؛ وَلم يكن ثَابت بن حَيَّان من الْأَئِمَّة النَّحْوِيين، وَإِنَّمَا كَانَ من أَئِمَّة المقرئين، وَله شيخ جليل وَهُوَ ابْن يعِيش الْحلَبِي ذكر ابْن إياز فِي أَوَائِل شرح التصريف أَنه أَخذ عَنهُ، وَسمع بِدِمَشْق من السخاوي وَالْحسن بن الصَّبَّاح وَجَمَاعَة، وَأخذ الْعَرَبيَّة عَن غير وَاحِد، وجالس بحلب ابْن عمرون وَغَيره.

أخلاقه وعلمه:

الخُلق والعلم صنوان لا ينفصمان، والمنجز الحضاري العربي الإسلامي زاخر بكواكب أضاءت ظلمات الجهالة البشرية، وعمرت فيافي الفضاءات العقلية، وحمتها من الشطط، كان الخُلق والعلم أحد مرتكزاتها، وفي سير أعلامنا ما يؤيد ذلك.

فها هو ابن مالك قد صرف همته إِلَى إتقان لِسَان الْعَرَب حَتَّى بلغ فِيهِ الْغَايَة وحاز السبق، وأربى على الْمُتَقَدِّمين، فكَانَ إِمَامًا فِي الْقرَاءَات وعللها، وَبلغ فِي اللُّغَة شأوًا عظيمًا فَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهى فِي الْإِكْثَار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيها. وَأما النَّحْو والتصريف فَكَانَ فيهمَا بحراً لَا يجارى، وحبراً لَا يُبَارى، وإذا كان الناس قد شغلوا كثيرًا بكتاب سيبويه ثم بمفصل الزمخشري، فإنهم قد شغلوا كثيرًا بتسهيل ابن مالك وألفيته شرحًا ودرسًا وحفظًا لأزمان طويلة. وقد أشاد العلماء بعلمه ومهارته في النحو فقال ابن القويع ركن الدين: إن ابن مالك ما خلى للنحو حرمة، ويحكى أن الشيخ جمال الدين الفزاري العالم المشهور تأسف يوم موت ابن مالك تأسفًا كثيرًا، فقيل له: أكان الشيخ جمال الدين في النحو مثلك في الفقه؟ فقال: والله ما أنصفوه، كان في النحو مثل الشافعي في الفقه. وَأما أشعار الْعَرَب الَّتِي يستشهد بهَا على اللُّغَة والنحو فَكَانَت الْأَئِمَّة الْأَعْلَام يتحيرون فِيهِ، ويتعجبون من أَيْن يَأْتِي بهَا! وَكَانَ نظم الشّعْر سهلاً عَلَيْهِ: رجزه وطويله وبسيطه وَغير ذَلِك؛ هَذَا مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ من الدّين المتين، وَصدق اللهجة، وَكَثْرَة النَّوَافِل، وَحسن السمت، ورقة الْقلب، وَكَمَال الْعقل، وَالْوَقار والتؤدة.

وَكَانَ أمة فِي الِاطِّلَاع على الحَدِيث، فَكَانَ أَكثر مَا يستشهد بِالْقُرْآنِ، فَإِن لم يكن فِيهِ شَاهدٌ عدلَ إِلَى الحَدِيث فَإِن لم يكن فِيهِ شَاهد عدل إِلَى أشعار الْعَرَب، وَكَانَ كثير الْعِبَادَة، كَامِل الْعقل، وَقد انْفَرَدَ عَن المغاربة بشيئين: الْكَرم وَمذهب الإِمَام الشَّافِعِي.

وَكَانَ ابْن مَالك لَا يحْتَمل المباحثة، وَلَا يثبت للمناقشة، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَخذ هَذَا الْعلم بِالنّظرِ فِيهِ بِخَاصَّة نَفسه، هَذَا مَعَ كَثْرَة مَا اجتناه من ثَمَرَة غرسه، وكَانَ إِذا صلى فِي العادلية . وَكَانَ إمامها . يشيعه قَاضِي الْقُضَاة شمس الدّين بن خلكان إِلَى بَيته تَعْظِيمًا لَهُ.

وكان . يرحمه الله . لا يُرى إلا وهو يصلي، أو يتلو، أو يصنف، أويقرئ، فله الدّين المتين وَالتَّقوى الراسخة.

مؤلفاته:

ترك الشيخ ميراثًا ضخمًا ما زلنا نعيش حتى اليوم عليه، وهو ميراث ضخم حقًا يبلغ نحو أربعين مصنفًا في النحو والصرف واللغة والقراءات، والألفية أشهر كتب ابن مالك النحوية، بل لعلها أشهر كتب النحو العربي بعد (الكتاب)، وهي تستمد شهرتها من أنها خلاصة دقيقة بالغة الدقة لأهم قواعد النحو العربي التي يقوم عليها بناؤه الشامخ، يسَّر نظمَها حفظَها، وفتح تركيزها الأبواب أمام العلماء المتأخرين ليثبتوا عن طريق شرحها، والتعليق عليها، وبسط ما ركزته، والإطالة فيما لخصته.

ترك شيخ العربية مصنفات في علوم كثيرة، ففضلا عن "الألفية" في النحو له "لامية الأفعال"، و"عدة الحافظ وعمدة اللافظ"، و"إيجاز التعريف"، و"شواهد التوضيح"، و"تحفة المودود في المقصور والممدود"، و"العروض"، و"الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد"، و"تسهيل الفوائد" في النحو، و"الضّرب في معرفة لسان العرب" و"الكافية الشافية"، و"الخلاصة"، و"العمدة" وشرحها، و"سبك المنظوم وفك المختوم"، و"إكمال الإعلام بتثليث الكلام".

تلاميذه:

من تلاميذه وممن رووا عنه: وَلَده بدر الدّين مُحَمَّد، وشمس الدّين بن جعوان، وشمس الدّين ابْن أبي الْفَتْح، وَابْن الْعَطَّار، وزين الدّين أَبُو بكر الْمزي، وَالشَّيْخ أَبُو الْحُسَيْن اليونيني، وَأَبُو عبد الله الصَّيْرَفِي، وقاضي الْقُضَاة بدر الدّين ابْن جمَاعَة، وشهاب الدّين مَحْمُود، وشهاب الدّين ابْن غَانِم ناصر الدّين شَافِع.

وفاتــه:

توفي ابن مالك ـ يرحمه الله ـ بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة من الهجرة، وقد قَالَ شرف الدّين الحصني يرثيه بأبيات منها:

يَا شتات الْأَسْمَاء وَالْأَفْعَال

بعد موت ابْن مَالك المِفضَال

وانحراف الْحُرُوف من بعد ضبط
مِنْهُ فِي الِانْفِصَال والاتصالِ
مصدرا كَانَ للعلوم بِإِذن
الله من غير شُبْهَة ومحال
عدم النَّعْت والعطف والتو
كيد مستبدلاً من الْإِبْدَال
ألم اعتراه أسكن مِنْهُ
حركات كَانَت بِغَيْر اعتلال
يَا لَهَا سكتةً لهمز قَضَاء
أورثت طول مُدَّة الِانْفِصَال
رَفَعُوهُ فِي نعشه فانتصبنا
نصب تَمْيِيز كَيفَ سير الْجبَال
صرفوه يَا عظم مَا فَعَلُوهُ
وَهُوَ عدل معرف بالجمال

51. المُبرّد

شيخ أهل النحو والعربية، وإليه انتهى علمها، إنه مُحَمَّد بن يَزِيْدَ بنِ عَبْدِ الأَكْبَر الأَزْدِيّ، البَصري، النَّحْوِيّ، الأَخْبَارِيّ. كانَ إِمَامًا، علامةً، فصيحًا، مفوهًا، موثقًا صَاحِب نَوَادِر وَطُرَفٍ، يُقَال: إِنَّ المَازِنِيّ

أَعجبه جَوَابُه: فَقَالَ لَهُ: قُمْ، فَأَنْت المُبَرِّد، أَي: المُثْبِت للحقّ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ: بِفَتْح الرَّاء.

أساتذته:

أَخَذَ الشيخ عن جماعة من علماء عصره منهم: أَبِي عُثْمَانَ المَازِنِيّ، وَأَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيّ، وابتدأ بِقِرَاءَة " الْكتاب " على الْجرْمِي فَقَرَأَ بعضه، وكَمَّل بَاقِيه على الْمَازِني.

تلاميذه:

أما من أخذوا عَنْهُ، فمنهم: أَبُو بَكْرٍ الخَرَائِطِيّ، وَنِفْطَوَيْه، وَأَبُو سَهْلٍ القَطَّانُ، وَإِسْمَاعِيْل الصَّفَّار، وَالصُّوْلِيّ، وَأَحْمَد بن مَرْوَانَ الدِّيْنَوَرِيّ، وَعِدَّةٌ.

مكانته العلمية:

كان المبرد حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثر النوادر. قال أبو سعيد السيرافي: سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جوابًا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم. وقال السيرافي: وسمعت نفطويه يقول: ما رأيت أحفظ لأخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس بن الفرات. وقَالَ ابْنُ حَمَّاد النَّحْوِيّ: كَانَ المُبَرِّدُ أَكْثَر تَفَنُّنًا فِي جَمِيْع الْعُلُوم، وكَانَ آيَة فِي النَّحْوِ.

أُشتهر أمره بِبَغْدَاد، وَذَاكَ أَن المتَوَكل استحضره إلى سر من رأى؛ لِأَنَّهُ قَرَأَ يَوْمًا وَالْفَتْح بن خاقَان بِحَضْرَتِهِ: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا)، فَقَالَ الْفَتْح: يَا سَيِّدي (أَنَّهَا)، فَقَالَ: مَا أعرفهَا إِلَّا بِالْكَسْرِ، فَأمر بإحضار

المُبرِّد، فَحَضَرَ، وَورد إِلَى الْفَتْح بن خاقَان فسلَّم عَلَيْهِ، فَذكر لَهُ مَا استحضره لَهُ، فَوَافَقَ الْفَتْح، فَرفع مَجْلِسه، ثمَّ أُدخل بعد ذَلِك المتَوَكل، فصوَّب قِرَاءَته، وَذكر جَوَاز الْوَجْهَيْنِ جَمِيعًا. ثمَّ سَار إِلَى بَغْدَاد، وَتكلم فِي جَامع الْمَنْصُور، وَأخذ يُجيب عَن مسَائِل يُفهم أَنه قد سُئل عَنْهَا، فَقَامَ الزَّجَّاج من حَلقَة أَحْمد بن يحيى ثَعْلَب إِلَيْهِ، وَألقى عَلَيْهِ عدَّة مسَائِل، فَأجَاب فِي جَمِيعهَا، فَلَزِمَهُ وَترك مجْلِس ثَعْلَب.

مصنفاتـه:

أملى الشيخ كتبا كَثِيرَة جلها في علوم العربية، منها: " الْمدْخل إِلَى علم سِيبَوَيْهِ"، و"المُقتضب"، و"الْكَامِل"، و"الْجَامِع"، وَله كتاب صَغِير يرد على سِيبَوَيْهِ نَحْو أَرْبَعمِائَة مَسْأَلَة، ومن كتبه كتاب "الرَّوْضَة"، وَله "كتاب فِي القوافي"، و" كتاب فِي الخطِّ والهجاء"، و " كتاب فِي الْقُرْآن"، وكتاب "اخْتِيَار الشّعْر"، وكتاب لقبه "الْكَافِي" فِيهِ أخبارٌ.

براعته في المناظرة:

قال أبو عبد الله المفجع: كان المبرد لعظم حفظه اللغة واتساعه يتهم، فتوافقنا على مسألة لا أصل لها نسأله عنها، لننظر كيف يجيب، وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقْ بعضنَا

حنانيكَ، بعضُ الشرِ أهونُ من بعضِ

فقال قوم: هو من البحر الفلاني، وقال آخرون: هو من البحر الفلاني، فقطعناه، وتردد على أفواهنا تقطيعه ومنه "ق بعضنا"، فقلت له:

أيدك الله تعالى! ما القبعض عند العرب؟ فقال: القطن، يصدق ذلك قول الشاعر: كأن سنامها حُشِيَ القبعضا.

قال: فقلت لأصحابه: ترون الجواب والشاهد؛ إن كان صحيحًا فهو عجيب، وإن كان اختلقَ الجوابَ في الحال فهو أعجبُ.

وقال الزجاج: لما قدم المبرد بغداد، جئت لأناظره، وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب، فعزمت على إعناته، فلما فاتحته ألجمني بالحجة، وطالبني بالعلة، وألزمني إلزامات لم أهتدِ إليها، فتيقنت فضله، واسترجحتْ عقله، وأخذت في ملازمته.

وفاتــه:

توفي ـ يرحمه الله ـ سنة ست وثمانين ومائتين من الهجرة، ودُفن فِي مَقْبرَة بَاب الْكُوفَة، وَصلى عَلَيْهِ يُوسُف بن يَعْقُوب القَاضِي، وَله سِتّ وَسَبْعُونَ سنة.

52. المُرادي

الفقيه النحوي اللغوي التصريفي البارع الأوحد في فنون من العلم، الْحسن بن قَاسم بن عبد الله بن عَليّ الْمرَادِي، الْمصْرِيّ المولد الآسفي المَحتِد، الْمَعْرُوف بِابْن أم قَاسم، عَلَمٌ ساطعٌ في سماء الحضارة العربية الإسلامية بمصنفاته العديدة والعجيبة، قد أجمعت الكتب التي ترجمت له على إمامته في العربية وبراعته في النحو والتصريف واللغة والفقه، فضلا عن تقاه وصلاحه.

أساتذتـه:

أخذ الْعَرَبِيَّة وعلوم الدين عَن عدد من علماء عصره، فأخذ النحو والعربية عن أبي عبد الله الطنجي والسراج الدمنهوري الفقيه المفتي شيخ قراء زمانه، وأبي زكريا الغماري، وأبي حيان الأندلسي النحويّ اللغويّ المفسّر، وأخذ الفقه عن شرف الدين المِغَيْلي المالكي، والأصول عن شمس الدين بن اللبان، والقراءات عن مجد الدين إسماعيل بن محمد التستري شيخ القراءات بالمدرسة الفاضلية.

سبب اشتغاله بالتدريس:

لم تذكر المصادر التي ترجمت له شيئًا عن حياته أو عن تلاميذه سوى ما جاء عن سبب اشتغاله بالتدريس، فقد ذُكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال له: "يا حسن، اِجلسْ اِنفعْ الناس بمكان المحراب بجامع مصر العتيق بجوار المصحف"، وتلك هي الإشارة الوحيدة إلى اشتغاله بالتدريس في هذا الجامع الذي يعرف أيضًا بجامع عمرو بن العاص.

مصنفاتــه:

صَنّفَ الشيخ، وتفنَّن وأجاد في عدة علوم وكانت مؤلفاته خير شاهد على العقلية العلمية التي تمتع بها، فله إسهاماته الواضحة في علوم العربية: النحو والصرف واللغة، فضلا عن التفسير، ومنها: (إعراب القرآن)، و(تفسير القرآن)؛ ذكر أنه في عشرة مجلدات، أتى فيه بفوائد كثيرة، و(شرح التسهيل)لابن مالك (ت672هـ)، و(شرح

الجزولية) للجزولي (ت607هـ) و(شرح الحاجبية النحوية الكافية) لابن الحاجب (ت 646هـ)، و(شرح الحاجبية العروضية)، و(شرح الشافية في التصريف) لابن الحاجب، و(شرح الفصول) وهو متن نحوي لابن معط (ت 628هـ)، و(شرح المفصل) للزمخشري (ت 538هـ)، و(شرح كلا وبلى ونعم)، ومعنى (لو)، و(منظومة في معاني الحروف)، وأفرد باب وقف حمزة على الهمز في مصنف، وله أيضًا (الجنى الداني في حروف المعاني)، و(شرح ألفية ابن مالك) ولم يصل إلينا سوى هذين الأخيرين؛ أما (الجنى الداني) فهو أحسن ما ألف في باب حروف المعاني أو الأدوات النحوية.

وفاتـــه:

أجمعت المصادر على أن وفاة المرادي ـ يرحمه الله ـ كانت سنة الطاعون بمصر، أي 749هـ، وأنه دفن بسرياقوس شمال القاهرة.

53. ابنُ مضاء

لم تكن الدعوة إلى تيسير النحو للطلاب والناشئة وتخليصه مما التصق به من أعلاق الفلسفة والمنطق وليدة العصر الحديث، بل كان أول من جاهر بها قد مضي عليه ما يقارب الألف عام.

إنه عالم العربية، المحدث، الثقة، المقرئ، المفسر، العارف بالفقه وأصوله، وبالطب، والهندسة، والحساب ـ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن سعيد بن حريث بن عاصم بن مضاء اللخمي

القرطبي، أبو العباس، مولده كان بقرطبة عام 513 هـ، ولي القضاء بفاس وبجاية، ثم بمراكش سنة 578 هـ، وصرف عن القضاء، فعاد إلى أشبيلية وأقام بها يسمع الحديث إلى أن مات.

رحلاتـــه العلمية:

نشأ ابن مضاء في بيت حسب وشرف منقطعًا إلى العلم والعلماء، معنيًا أشد العناية بلقاء أساتذة عصره، فارتحل إلى إشبيلية حيث ابن الرماك، ليدرس عليه وكتاب سيبويه، ثم هاجر في طلب الحديث إلى سبتة حيث القاضي عياض، أشهر محدثي المغرب وفقهائه في عصره.

ولم يزل يُعنى بالحديث حتى صار رُحْلة في الرواية، قال ابن فرحون: "كان واسع الرواية ضابطًا لما يحدث به"، ولم يكتفِ ابن مضاء بالعلوم اللغوية والدينية، إذ كان عارفًا بالطب والحساب والهندسة، وشاعرًا بارعًا وكاتبًا، وانتهى المطاف به أن أصبح حجة في الفقه الظاهري، وهو مذهب الموحدين الذين حكموا المغرب والأندلس (541 ـ 668هـ)، فولوه قضاء فاس وبجاية، ثم ما لبث الأمير يوسف بن عبد المؤمن أن جعله قاضي الجماعة في الدولة كلها إلى أن توفي، أما أشهر تلاميذه فهو أبو علي عمر بن محمد الشلوبين.

وكان طبيعيًا أن يحمل ابن مضاء حملة الموحدين على أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة لما ملأوا به كتبهم من فروع، وحملوا الناس في دولتهم على المذهب الظاهري الذي يرفض القياس وما يتصل به من

علل، ويكتفي بالظاهر من القرآن والحديث، وقد استلهم ابن مضاء هذه الثورة لا في حمله على الفقه والفقهاء فحسب، بل في حَمله على النحو والنحاة من حوله، وذلك أنه وجد الأبحاث النحوية كأبحاث الفقه تتضخم بتقديرات وتأويلات وتعليلات وأقيسة وشُعب وفروع وآراء لا حصر لها ولا غناء حقيقي في تتبعها.

من مصنفات الشيخ التي حملت فكره الثوري والتي ذكرها من ترجم له: (المشرق في النحو)، و(تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان)، و(الرد على النحاة)، وهذا الأخير هو الذي انتهى إلينا من آثاره، ولم تقع أعين الباحثين على الأول والثاني إلى اليوم.

وفاتــه:

توفي ـ يرحمه الله ـ عام 592هـ.

54. ابن معطٍ

أُولع بالعربية والتأليف كثيرون، وتفننوا في كيفية تقديمها للدارسين ليسهل استيعابها ومن ثم حفظها، وكان للشيخ يحيى بن معطٍ فضل السبق في هذا المجال، إذ عمد إلى نظم قواعد اللغة شعرًا في ألف بيت، لكنَّ الرجل لم ينل من الشهرة والذيوع كما نال أقرانه من علماء العربية، فمن هو ابن معطٍ؟ وكيف كانت حياته العلمية؟ وما مكانته بين العلماء؟ وماذا عن مصنفاته العلمية؟

إنه العَلاَّمَةُ شَيْخُ النَّحْوِ زَيْنُ الدِّيْنِ أَبُو الحُسَيْنِ يَحْيَى بنُ عَبْدِ المُعْطِي بنِ عَبْدِ النُّوْرِ الزَّوَاوِيُّ، المَغْرِبِيُّ، النَّحْوِيُّ، الفَقِيْهُ، الحَنَفِيُّ، كان مولده سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ بظاهر مدينة بجاية حيث كانت تسكن قبيلته.

رحلاته العلمية:

اتجه الشيخ إلى علماء عصره ينهل من علمهم، ومن هؤلاء: القاسم ابن عساكر، والتاج الكندي، وأبي موسى عيس الجزولي، وكانت رحلاته العلمية بين دمشق ومصر متعلمًا ومعلِّمًا قد جمعت حوله كثيرين من طلاب العلم.

أقرأ الشيخ النَّحْو بِدِمَشْق مُدَّة ثمَّ بِمصْر، وتصدّر بالجامع الْعَتِيق، وَحمل النَّاس عَنهُ، وخدم في مواضع جليلة، وكانت لَهُ حَلَقةُ إشغال بالتُّربة العادلية.

كَانَ الشيخ إِمَامًا مبرزا فِي عِلم اللّسان، شَاعِرًا محسنًا، قال عنه القاضي ابن خَلّكان: هُوَ أحد أئمة عَصره في النَّحْو واللّغة، أقرأ بدمشق خَلْقًا كثيرًا، وصَنَّف العديد من المؤلفات.

مصنفاته:

ترك ابن معط مجموعة من المصنفات منها: الألفية فِي النَّحْو، وكتاب الفصول الخمسون في النحو، وكتاب الْعُقُود والقوانين فِي

النَّحْو، وكتاب حواش على أصُول ابْن السراج فِي النَّحْو، وكتاب شرح الْجمل فِي النَّحْو، وكتاب شرح أَبْيَات سِيبَوَيْهِ (نظم)، وكتاب ديوَان خطب، وَله قصيدة فِي الْقرَاءَات السَّبع، ونظم كتاب الصِّحَاح للجوهري فِي اللُّغَة؛ وَلم يكمل، ونظم كتاب الجمهرة لِابْنِ دُرَيْد فِي اللُّغَة، ونظم كتابًا فِي الْعرُوض، وَله كتاب المثلث، وكَانَ يحفظ شَيْئًا كثيرًا؛ فَمن جملَة محفوظاته كتاب صِحَاح الْجَوْهَرِي.

مكانة ألفيته:

تعد (الألفية في علم العربية) من أشهر مؤلفات ابن معطٍ، لأنها أول منظومة نحوية في ألف بيت، كما يعد ابن معطٍ الرائد في استعمال لفظ الألفية في أشعاره، إذ أطلق هذه التسمية على منظومته النحوية. وابن معط صاحب الفضل في هذا الشأن لأنه فتح الباب لمن أتى بعده كابن مالك، والآثاري، والسيوطي.

وفاتـه:

توفي الشيخ ـ يرحمه الله ـ فِي ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وست مائة بمصر.

55. ملك النحاة

الحسن بن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبى الحسن النحوي البغداديّ **ملك النحاة**، فقيه نحوي لغويّ، شاعر ناثر، حسن الشعر والرسائل، عارف بالنحو واللغة، وله مصنفات في كل فن منها، وله مسائل أملاها في علم النحو.

مكانته العلمية:

برَع ملك النحاة في النحو حتى صار أنحى أهل طبقته، وكان فَهِمًا ذكيًا فصيحًا، له نظم ورصف حسن؛ إلا أنه كان عنده عُجب بنفسه، وتِيه بعلمه، لقّب نفسه "ملك النحاة"، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك، وكان يقول: هل سيبويه إلا من رعيّتي وحاشيتي! ولو عاش ابن جنّى لم يسعه إلا حمل غاشيتي، وكان صحيح الاعتقاد كريم النفس.

ومما قيل عنه: أحد الفضلاء المبرّزين؛ بل واحدهم فضلًا، وماجدهم نبلاً، وكبيرهم قدرًا، ورحيبهم صدرًا، قد غلبت عليه سمة ملك النحاة، وشهدت بفضله خلّانه والعداة، سمح البديهة في المقاصد النبيهة، عزيز النفس كثير الأنفة عن المطامع الدنية بالمطالب النّزيهة، والمراتب الوجيهة، ولقد كانت نجابته للنّحاة بضاعة وافية، وبراعة يراعته للكفاة كافية، يأخذ القلم فيمشق الطّرس في عرضه نظمًا يعجز، ونثرًا يعجب، ونكتًا ترقص، ونتفًا تطرب.

رحلاته وتلاميذه:

سافر من بغداد الى خراسان، وكرمان، وغزنة، ودخل إلى ملك غزنة وأكرمه واحترمه، ثم قدم حلب، وأقام بها مدة، وكان يقرئ بها الأدب بالمسجد الجامع. وقرأ عليه بها أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أبي جرادة الحلبي، وأبو طالب الحسين بن محمد بن أسعد بن الحليم وغيرهما، وكان بينه وبين أبي الحسين بن منير بها مهاجاة ومهاترة.

اتصل بالملك العادل أبي القاسم محمود بن زنكي وكان يكرمه ويحسن إليه، ثم انتقل إلى دمشق وسكنها إلى أن مات بها، روى عنه الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن، وذكره في تاريخه، وروى عنه أبو بكر عبد الله بن منصور ابن عمران الباقلاني الواسطي، وقرأ عليه علي بن الحسن بن عنتر المعروف بشميم الحلي وسلك طريقته في الترفع على الناس والتعظم.

مصنفاتـه:

ترك الشيخ مصنفات منها: كتاب الحاوي في النحو (مجلدان)، وكتاب العمد في النحو (مجلد) وهو كتاب نفيس، وكتاب المنتخب فِي النَّحْو، وكتاب المقتصد في التصريف (مجلد ضخم)، وكتاب أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر وشيء من الشواذ (مجلدان)، وكتاب التذكرة السفرية، انتهت إلى أربعمائة كراسة، وكتاب العروض (مختصر محرر)، وكتاب في الفقه على مذهب الشافعي سماه "الحاكم"

(مجلدان)، وكتاب مختصر في أصول الفقه، وكتاب مختصر في أصول الدين، وكتاب ديوان شعره، وكتاب المقامات.

وفاتـه:

توفى أبو نزار النحوي . يرحمه الله . بدمشق يوم الثلاثاء من شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة، ودفن يوم الأربعاء تاسعه بمقبرة الباب الصغير.

56. نصر بن عَاصِم

من الرعيل الأول الذي قام بالعربية والقراءات، وهو أول العلماء في علم النحو، وإليه يرجع وضع النقط على الحروف في العربية، إلى جانب أنه فقيه من فقهاء التابعين، بل عدَّهُ صاحب معجم المفسرين ممن اشتغل بتفسير القرآن، إنه نصر بن عاصم بن أبى سعيد الليثيّ البصريّ المقرئ النحويّ.

أول علماء العربية والنحو:

كان الليثي فقيه العربية والعالِم بها، وأحد القراء فِي الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة، شُهِد له بفصاحته وفقهه، يُقال: أول من وضع العربية نصر بن عاصم.

قال بعض الرواة: إن نصر بن عاصم أول من وضع النحو وسبّبه؛ وهو أول من أخذه عن أبى الأسود الدؤلىّ، وفتق فيه القياس، وكان أنبل الجماعة الذين أخذوا عن أبى الأسود، فنسب أوله إليه، وكان من التابعين، ويقال: إنه دؤلىّ، ويقال إنه ليثىّ.

مكانته في الرواية:

روى نصر بن عاصم عن كثير من الصحابة، يقول صاحب تهذيب الكمال: رَوَى عَن: خالد بن خالد، ويُقال: سبيع بْن خالد اليشكري، وعَبد الله بن فطيمة أحد كتاب المصاحف، وعُمَر ابن الخطاب، وفروة بن نوفل، ومالك بن الحويرث الليثي، والمستورد التَّيْمِيّ، ويَحْيَى بْن يَعْمَرَ، وأبي بكرة الثقفي، وأبي معاوية الليثي.

أساتذتـه:

قرأ نصر بن عاصم الْقُرْآن على أبي الْأسود، وَأَبُو الْأسود قَرَأَ على عَليّ بن أبي طَالب، وَكَانَ يُسنِد إِلَى عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ فِي الْقُرْآن والنحو، وَقَالَ ابْن سَلام أَخذ نصر بن عَاصِم النحوَ عَن يحيى بن يَعمُر العَدوانيّ وَله كتاب فِي الْعَرَبيَّة، وَقَالَ غَيره أَخذ عَنهُ أَبُو عَمْرو ابْن العلاءِ وَالنَّاس.

تلاميذه:

ممن رَوَى عَنه: بشر بن عُبَيد أَخُو عبد الجليل بن عُبَيد، وأَبُو الشعثاء جابر بن زيد، ووحيد بن هلال العدوي، وعِمْران ابن حدير، وقتادة بن دعامة، ومالك بن دينار، وأَبُو سعد البقال، وأَبُو سلمة، حوُمَيْدُ بْنُ هِلالٍ، وَقَتَادَةُ، والزهري، وعمرو بن دينار.

قصته مع نقط المصاحف:

ذكر صاحب وفيان الأعيان، أنه لما كثر التصحيف وانتشر بالعراق، فزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى وكتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادًا وأزواجًا وخالف بين أماكنها، فغبر الناس بذلك زمانًا لا يكتبون إلا منقوطًا.

وفاتـه:

تُوفِّي الشيخ ـ يرحمه الله ـ سنة تسع وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ.

57. نَفْطَوَيْه

الإمام، الحافظ، النحوي، العلامة، الأخباري، عَالمُ الْعَرَبِيَّةِ واللغة والْحَدِيث، إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عَرَفَة بن سُلَيْمَان بن الْمُغيرَة بن حبيب ابْن الْمُهلب بن أبي صفرَة الْعَتكِي الْأَزْدِيّ الوَاسِطِيّ أَبُو عبد الله الملقب بـ (نَفْطَوَيْهِ)، لشبهه بالنفط لدمامته، وَجعل على مِثَال سِيبَوَيْهِ لانتسابه فِي النَّحْو إِلَيْهِ، كان مولده سنة أَربع وَأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ من الهجرة.

أساتذتـه:

أخذ الشيخ علومه عن ثعلب والمبرّد، وسكن بغداد، وحدَّث بها عن: إسحاق بن وهب العلاف، وخلف بن محمد كردوس، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطيين، وشعيب بن أيوب الصريفيني، وعباس بن محمد الدروي، وعبد الله بن محمد بن شاكر، وأحمد بن عبد الجبار العطاردي، وعبد الكريم بن الهيثم العاقولي، وغيرهم.

تلاميذه:

ممن روى عنه: أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، وأبو طاهر بن أبي هاشم المقرئ، وأبو عمر بن حيويه، وأحمد بن إبراهيم بن شاذان، وأبوعبيد الله المرزباني، والمعافى بن زكريا.

مكانته العلمية:

كَانَ زَاهِر الْأَخْلَاق، حسن المجالسة، صَادِقًا فِيمَا يرويهِ، حَافِظًا لِلْقُرْآنِ، فَقِيهًا على مَذْهَب دَاوُد الظَّاهِرِيّ رَأْسًا فِيهِ؛ مُسْندًا للْحَدِيث، حَافِظًا للسير وَأَيَّام النَّاس والتواريخ والوفيات، ذَا مُرُوءَة وظرف، جلس للإقراء أَكثر من خمسين سنة، وَكَانَ يَبْتَدِئ فِي مَجْلِسه بِالْقُرْآنِ على رِوَايَة عَاصِم، ثمَّ يقرئ الْكتب، وَكَانَ يَقُول: سَائِر الْعُلُوم إِذا مت، هُنَا من يقوم بهَا، وَأما الشّعْر، فَإِذا مت مَاتَ على الْحَقِيقَة.

وكان ـ رحمه الله ـ متقنًا في العلوم، وكان ينكر الاشتقاق في كلام العرب ويحيله، وله في ذلك مصنّف، وكل حجّة فيه مدخولة، وكان أبو

بكر بن السرّاج في طرف آخر في هذا النوع، يتهافت في الاشتقاق وإثباته واستعماله تهافتًا يخرجه عن حدّ الحقيقة الماشية على أصول من تقدّم. قال الزّبيديّ: كان نفطويه أديبًا مفتنّا في الأدب، حافظًا لنقائض جرير والفرزدق وشعر ذى الرّمّة وغيرهم من الشعراء.

مصنفاتـــه:

ترك الشيخ عدة مصنفات منها: كتاب إِعْرَاب الْقُرْآن، وكتاب المصادر، وكتاب أمثال الْقُرْآن، وكتاب القوافي، وكتاب التاريخ، وكتاب الاقتضابات، وكتاب غريب القرآن، وكتاب المقنع في النحو، وكتاب الاستيفاء في الشروط، وكتاب الأمثال، وكتاب الشهادات، وكتاب يبطل الاشتقاق، وكتاب الردّ على من قال بخلق القرآن، وكتاب الردّ على المفضّل في نقضه على الخليل.

وفاتـه:

توفي . يرحمه الله . يَوْم الْأَرْبَعاء ثَانِي عشر ربيع الأول سنة ثَلَاث وَعشْرين وثلاثمائة، ودفن من يومه بباب الكوفة مع صلاة العصر.

58. ابن هِشَام

هو الإمام الذي فاق أقرانه، وشأى من تقدمه، وأعيا من بعده، إمام نحاة عصره، الْفَاضِل، الْعَلامَة الْمَشْهُور، أَبُو مُحَمَّد، عبد الله بن

يُوسُف بن أَحْمد بن عبد الله بن هِشَام الْأَنْصَارِيّ الشَّيْخ جمال الدّين الْحَنْبَلِيّ. كان مولده في القاهرة فِي ذِي الْقعدَة سنة ثَمَان وَسَبْعمائة.

رحلاته العلمية:

لزِمَ الشيخ في رحلات الطلب كثيرًا من شيوخ عصره، منهم: الشهَاب عبد اللَّطِيف بن المرحل، وتلا على ابْن السراج، وَسمع على أبي حَيَّان ديوَان زُهَيْر بن أبي سلمى، وَلم يلازمه وَلَا قَرَأَ عَلَيْهِ، وَحضر دروس التَّاج التبريزي، وَقَرَأَ على التَّاج الْفَاكِهَانِيّ شرح الْإِشَارَة لَهُ إِلَّا الورقة الْأَخِيرَة، وتفقه للشَّافِعِيّ ثمَّ تحنبل، فحفظ مُخْتَصر الْخرقِيّ فِي دون أَرْبَعَة أشهر؛ وَذَلِكَ قبل مَوته بِخمْس سِنِين، وأتقن الْعَرَبيَّة ففاق الأقران بل الشُّيُوخ، وحدّث عَن ابْن جمَاعَة بالشاطبية، وَتخرج بِهِ جمَاعَة من أهل مصر وَغَيرهم.

مكانته العلمية:

ذاعت شهرة ابن هشام فِي حَيَاته، فأَقْبل النَّاس عَلَيْهِ، وتصدر لنفع الطالبين، وَانْفَرَدَ بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة وَالتَّحْقِيق البارع والاطلاع المفرط والاقتدار على التَّصَرُّف فِي الْكَلَام، والملكة الَّتِي كَانَ يتَمَكَّن من التَّعْبِير بهَا عَن مَقْصُوده بِمَا يُرِيد، مسهبًا وموجزًا، مَعَ التَّوَاضُع وَالْبر والشفقة ودماثة الخُلق ورقة الْقلب.

وقد اشتغل بالتدريس في القبة المنصورية والمدرسة الحنبلية، واشتهر بين العلماء حتى قورن بسيبويه. قال ابن حجر العسقلاني: أتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ، وتخرج به جماعة من أهل

مصر وغيرهم. وقال عنه ابن خلدون: ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه، وقال أيضًا: إنَّ ابن هشام على علمٍ جمٍ يشهد بعلو قدره في صناعة النحو: وكان ينحو في طريقته منحى أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني، واتبعوا مصطلح تعاليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب يدل على قوة ملكته واطلاعه.

اقتدى الشيخ بابن جني وامتاز بالابتكار في منهجه، والتيسير في طريقة عرضه، والانفراد ببعض آرائه، وَكَانَ كثير الْمُخَالفَة لأبي حَيَّان، شَدِيد الانحراف عَنهُ.

مصنفاتـه:

صنّف الشيخ ـ يرحمه الله ـ في فنون لغوية شتى تشهد بعلو مرتبته في الإبداعات اللغوية منها على سبيل المثال لا الحصر: مُغنِي اللبيب عَن كتب الأعاريب، التَّوْضِيح على الألفية (مجلد)، رفع الْخَصَاصَة عَن قراء الْخُلَاصَة(أَربع مجلدات)، عُمْدَة الطَّالِب فِي تَحْقِيق تصريف ابْن الْحَاجِب(مجلدان)، التَّحْصِيل وَالتَّفْصِيل لكتاب التذييل والتكميل(عدَّة مجلدات)، شرح التسهيل(مسودة)، شرح الشواهد الْكُبْرَى، الصُّغْرَى، الْقَوَاعِد الْكُبْرَى، الصُّغْرَى، شذور الذَّهَب، قطر الندى وبل الصدى، الْجَامِع الْكَبِير، الْجَامِع الصَّغِير، شرح اللمحة لأبي حَيَّان، شرح بَانَتْ سعاد، شرح الْبردَة، التَّذْكِرَة؛ خَمْسَة عشر مجلدًا، الْمَسَائِل السفرية فِي النَّحْو؛ و التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل

(كبير)، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ونزهة الطرف في علم الصرف، وموقد الأذهان.

وفاتـــه:

توفّي ـ يرحمه الله ـ في القاهرة لَيْلَة الْجُمُعَة خَامِس ذِي الْقعدَة سنة إِحْدَى وَسِتّينَ وَسَبْعمائة.

59. الْوَاحِدِيُّ

الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ، المفسر، النحوي، اللغوي، الأستاذ العالي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَاحِدِيُّ، النَّيْسَابُورِيُّ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ "التَّفْسِيرِ"، وَإِمَامُ عُلَمَاءِ التَّأْوِيلِ، أُسْتَاذُ عَصْرِهِ، وَوَاحِد دهره؛ أَنْفق شبابه فِي التَّحْصِيل؛ فأتقن الْأُصُول على الْأَئِمَّة، وَطَاف على أَعْلَام الْأمة؛ وكانت له معرفة بفنون من العلم، وقد سار الناس إلى علمه، واستفادوا من فوائده.

أساتذتـه:

ترجم الشيخ لرحلته مع أساتذته في مقدمة كتابه "البسيط" قائلا: فأما اللغة فقد درسْتُها على أَبِي الفضل أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن يوسف العَرُوضي، وكان قد خنقَ التسعين فِي خدمة الأدب، وروي عن أَبِي مَنْصُور الأزهريّ وكتاب "التهذيب"، وأدرك العامري وجماعة، وسمع أَبَا الْعَبَّاس الأصم، وله مصنّفات كبار، وقد لازمتُه سِنين.

وأخذتُ التفسير عن الثعلبي، والنحو عن أَبِي الحسن علي بْن مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم الضرير، وكان من أبرع أَهْل زمانه فِي لطائف النحو وغوامضه، علّقتُ عَنْهُ قريبًا من مائة جزء فِي المسائل المُشْكِلة، وسمعت منه أكثر مصنّفاته.

تلاميـذه:

من تلاميذه الذين حَدَّثَوا عَنْهُ: أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْأَرْغِيَانِيُّ، وَعَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُوَارِيُّ، وَطَائِفَةٌ أَكْبَرُهُمْ الْخُوَارِيُّ.

مكانته العلمية:

تصدَّر الواحدي للإفادة والتدريس مدّة، وكان معظَّمًا محترمًا، لَوْلَا مَا كَانَ فِيهِ من إزرائه على الْأَئِمَّة الْمُتَقَدِّمين، وَبسط اللِّسَان فيهم بِمَا لَا يَلِيق. قال عنه "الباخرزي" في دمية القصر: مشتغل بما يعنيه وإن كان استهدافه للمختلفة إليه يعنّيه، وقد خبط ما عند أئمة الأدب من أصول كلام العرب خبط عصا الراعي فروع الغرب، وألقى الدلاء في بحارهم حتّى نزفها، ومدّ البنان إلى ثمارهم إلى أن قطفها. وله في علم القرآن، وشرح غوامض الأشعار تصنيفات بيديه. وقلمّا يعرض على الرواة ما يصوغه من نسمات الأشعار، ويبدي ما يفتح كمامها عن النوّار.

مصنفاتـــه:

ترك الواحدي مجموعة من المصنَّفات العلمية أثرى بها المكتبة العربية الإسلامية، منها: التفاسير الثلاثة: "البسيط"، و"الوسيط"،

و"الوجيز"، وبهذه الأسماء سمّي الغزالي كُتُبَه الثلاثة فِي الفقه، قال صاحب "إنباه الرواة" عن تفسير "البسيط": ومن رآه عَلِمَ مقدار ما عنده من علم العربية، فقد أكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة، وكتاب "أسباب النزول"، و"التحبير في شرح أسماء الله الحسنى"، و"شرح ديوانَ المتنبي"، وله أيضًا كتاب "الدعوات"، و"المغازي"، و"الإعراب فِي علم الإعراب"، و"تفسير النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم"، و"نفي التحريف عن القرآن الشريف".

وفاتــه:

توفي الواحدي ـ يرحمه الله ـ في جمادي الآخرة سنة ثَمَان وَسِتّينَ وَأَرْبَعمِائَة.

60. الوَجِيهُ

العَلاَّمَةُ، وَجِيْه الدِّيْنِ، أَبُو بَكْرٍ المُبَارَكُ بنُ المُبَارَكِ ابنِ أَبِي الأَزْهَرِ سَعِيْدِ بنِ أَبِي السَّعَادَاتِ الوَاسِطِيُّ، النَّحْوِيُّ، الضَّرِيْر. كان مَوْلِدُهُ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلاَثِيْنَ من الهجرة.

أساتذتــه:

حفظ الوجيه القُرْآن، وَتَلاَ بِالرِّوَايَات عَلَى جَمَاعَة. وقد قَدِمَ بَغْدَادَ شَابّاً، فَسَمِعَ مِنْ: أَبِي زُرْعَةَ المَقْدِسِيّ، وَيَحْيَى بن ثَابِتٍ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ

الخَشَّابِ، وَلزمه فِي العَرَبِيَّة. وقرَأَ الأَدب عَلَى أَبِي سَعِيْدٍ نَصْر بن مُحَمَّدٍ المُؤَدِّب. وَقرَأَ جُمْلَةً مِنْ كُتُب النَّحْو وَاللُّغَة وَالشّعر عَلَى أَبِي البَرَكَاتِ الأَنْبَارِيّ مِنْ حِفْظِهِ. وَكَانَ يَحْفَظ فِي كُلّ يَوْم كُرَّاسًا فِي النَّحْوِ وَيَفهمه وَيُطَارح فِيْهِ، حَتَّى بَرَعَ، وَكَانَ يَتردَّد إِلَى مَنَازِل الصُدُوْر لإِقْرَاء الأَدب.

مكانته العلمية:

كَانَ الشيخ شَدِيد الذّكَاء، ثَاقب الفَهم، كَثِيْر المَحْفُوْظ، يَتكلَّم بِالتّركيَّة وَالفَارِسيَّة وَالروميَّة وَالأَرْمَنِيَّة وَالحَبَشِيَّة وَالهنديَّة وَالزّنجيَّة بكَلاَم فَصيح عِنْد أَهْل ذَلِكَ اللِّسَان، مُضطلعًا بعلُوْم كَثِيْرَة مثل: النَّحْو، وَاللُّغَة، وَالتّصرِيف، وَالعروض، وَمعَانِي الشّعر، وَالتَّفْسِيْر، وَيَعْرِف الفِقْه وَالطِّبّ وَعلم النُّجُوْم وَعُلُوْم الأَوَائِل.

كما كان مُتَوَاضِعًا، دَيّنًا، صَالِحًا، كَثِيْر الصَّدَقَة، متفقّدًا لِلْفُقَرَاء وَالطّلبَة. وقد تَفَقَّهَ أَوَّلاً لأَبِي حَنِيْفَةَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ شَافِعِيًّا بَعْد عُلُوّ سنّه، وَوَلِيَ تدرِيس النَّحْو بِالنّظَامِيَّة، إِلَى أَنْ مَاتَ.

ملحة:

التزم الوجيه سماحة الأخلاق وسعة الصدر فكان لا يغضب من شيء، ولم يُرَ من أحدٍ قطّ حَرْدَان، وشاع ذلك عنه وبلغ ذلك بعض الخلفاء، فقِيل له: ليس له من يغضبه، وخاطروه على أن يغضبه. فجاءه فسلّم عليه ثم سأله عن مسألة نحوية، فأجابه الشيخ بأحسن جواب ودلّه على محجة الصواب، فقال له: أخطأت، فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب وسهّل طريقته وبيّن له حقيقته،

فقال له: أخطأت أيها الشيخ، والعجب ممن يزعم أنك تعرف النحو ويهتدى بك في العلوم، وهذا مبلغ معرفتك، فلاطفه، وقال له: يا بنيّ لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبْيَن من الأول فعلت، قال له: كذبت لقد فهمت ما قلت، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم، فقال له الشيخ وهو يضحك: قد عرفت مرادك، ووقفت على مقصودك، وما أراك إلا وقد غُلِبْتَ، فأدِّ ما بايعت عليه فلستَ بالذي تغضبني أبدًا، وبعد يا بنيّ فقد قيل إن بقّة جلست على ظهر فِيل، فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك فإني أريد الطيران، فقال لها الفيل: والله يا هذه ما أحسست بك لما جلست؛ فكيف أستمسك إذا أنت طرت؟!

وفاتــه:

توفي ـ يرحمه الله ـ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتّ مائَةٍ من الهجرة.

61. ابن يعيش

أمام من كبار أئمّة العربية، ماهرٌ في النحو والتصنيف، قدِمَ دمشق، وجالس الكنديّ، وتصدّر بحلَب للإقراء زمانًا، وطال عمرُه، وشاع ذكرُه، وغالبَ فضلاء حلب تلامذتُه. إنه يعيش بْن عَلِيّ بْن يعيش بْن أَبِي السّرايا مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن المفضّل بْن عَبْد الكريم بْن مُحَمَّد بْن يحيى بْن حيّان ابن القاضي بِشْر بْن حيّان الأَسَديّ، العلّامة موفَّق

الدّين أَبُو البقاء المَوْصِليّ الأصل، الحلبيّ، النَّحْويّ، وُلِدَ بحلب في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة فِي رمضان.

رحلاته العلمية:

رحل الشيخ من حلب في صدر عمره قاصدًا بغداد ليحضر مجلس أبي البركات عبد الرحمن بن محمَّد، المعروف بابن الأنباري، ومجالس غيره من علماء بغداد آنذاك، فلما وصل إلى الموصل، بلغه خبر وفاته، فأقام بالموصل مدّة مديدة يدرس الحديث، ثمّ عاد إلى حلب، ووقف حياته على التدريس، فانتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها، حتى إن الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته.

أساتذتـه:

سمع الشيخ من القاضي أبي سَعْد بن أبي عصرون، ويحيى الثَّقَفيّ، وَأَبِي الْحَسَن أحمد بْن مُحَمَّد ابن الطَّرَسُوسيّ، ورحل فسمع بالموصل من الخطيب أَبِي الفضل الطّوسيّ وغير ذَلِكَ، وأخذ النّحو عَن أَبِي السّخاء الحلبيّ، وَأَبِي الْعَبَّاس المغربيّ، وقدِم دمشقَ فجالَسَ الكِنْديّ، وذكر ابن خلكان: أَنَّهُ قرأ عَلَيْهِ سنة ستٍّ وبعض سنة سبْعٍ وعشرين معظم "اللُّمَع" لابن جنّيّ.

تلاميذه:

كان ممن رَوَوا عَنْهُ: الصَّاحِبُ ابْنُ العَدِيْمِ، وَابْنُه مَجْدُ الدِّيْنِ، وَابْنُ هَامل، وَأَبُو العَبَّاسِ ابْنُ الظَّاهِرِيّ، وَعَبْدُ المَلِكِ بنُ العُنَيّقَةِ، وَأَبُو

بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الدَّشْتِيّ، وَإِسْحَاقُ النَّحَاس وَأَخُوْهُ بَهَاءُ الدِّيْنِ، وَسُنْقُر القَضَائِيُّ، وَآخَرُوْنَ.

مكانته العلمية:

بَرَعَ الشيخ فِي النَّحْوِ والتصريف، وَصَنَّفَ التصانيف وبعد صيته، وتخرج به أئمة، وكان طَوِيْلَ البَاعِ فِي النَّقْلِ، ثِقَةً عَلاَّمَةً كَيِّسًا، طَيِّبَ المزَاحِ، حُلْوَ النَّادِرَةِ، ظريف الشمائل، خفيف الروح، طيب المزاح، مَعَ سكينةٍ ورَزَانة، وله نوادر كثيرة، وكان طويل الروح على المبتدئ والمنتهي، حسن التفهيم، وعامة فضلاء حلب تلامذته؛ لأنه أقرأ العربيّة والتّصريف مدّةً طويلة.

ومما قاله القفطي عنه في (إنباه الرواة على أنباه النحاة): لو أنصفته ما أجريته في حلبة النحاة، ولولا أنّ النحو قنطرة الآداب، لنّزهته عن مشاركة من قصده ونحاه، فإنّني إن وصفته بالنّحو فهو أديب، أو بالبلاغة فهو خطيب، أو بالعدالة فهو أبو ذرّها، أو بالمعاني فهو مكنون درّها، أو بجميع الفضائل وجمعها فهو حالب درّها، إمام إذا قاس قطع، وإذا تربّع ربع الأدب برع، وإن سئل بيّن المشكل، وإن استفسر فصّل المجمل، تصدّر في زاوية أبى علىّ (أبو علي الفارسي)، وجلّى للطلبة غامض كلامه وما تعبير كلّ متصدر جلىّ، حملته على إدراكه العلوم نفسه الأبيّة؛ لأنه سلك طريق الصّفوة والأصفياء.

مصنفاتـه:

من مصنفاته التي أوردتها المصادر: شرح " المفصل " للزمخشري، وشرح " تصريف الملوكي " لابن جني، وأجوبة على مسائل نحوية" لأبي نصر الدمشقي، و "تفسير المنتهى من بيان إعراب القرآن"، و"كتاب في القراءات ".

وفاتــه:

تُوُفّي الشيخ فِي الخامس والعشرين من جمادى الأولى بحلب سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وقد عمر التسعين رحمه الله تعالى.

أهم المصادر والمراجع

1 . د. أحمد الحوفي: الزمخشري، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة (1966م).

2 . د. أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت (1393هـ-1973م).

3 . الباخرزي (علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن، ت 467هـ): دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، بيروت، ط1 (1414هـ).

4 . ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين ت 874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية.

5 . التنوخي (أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري، ت 442هـ):تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط2 (1412هـ - 1992م).

6 . ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، ت 833هـ): غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.

7 . ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852هـ): لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف

النظامية في الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط2(1390هـ /1971م).

8 . الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ت 463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1422هـ - 2002 م).

9 . ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ط1 (1994).

10 . الداودي (محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، ت 945هـ): طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

11 . الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت 748هـ): تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1 (2003م).

12 . ـــــــــ: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة (1427هـ-2006م)

13 . ـــــــــ: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط1 (1417هـ ـ 1997م).

14 . الزبيدي (محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر، ت. 379هـ): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2 (د.ت).

15 . الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15(مايو 2002م).

16 . الزمخشري (محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي الحنفي، ت 538هـ): ديوان جار الله الزمخشري، شرح: فاطمة يوسف الخيمي، دار صادر، بيروت ط1(1429هـ ـ 2008م).

17 . السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ): طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2(1413هـ).

18 . ابن السَّلَّار الشافعي (عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي، ت.782هـ): طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، ط1(1423 هـ ـ 2003 م).

19 . السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان (د.ت).

20. ـــــــــ: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط1 (1387 هـ - 1967 م).

21. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت1250هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت.

22 . الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ت 764هـ): الوافي بالوفيات، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت (1420هـ ـ 2000م).

23 . ـــــــ: نكث الهميان في نكت العميان، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1428 هـ - 2007 م).

24 . طاش كبرى زاد (أحمد بن مصطفى): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 (1405هـ ـ1985م).

25 ـ أبو طاهر السِّلَفي (صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني، ت 576هـ): الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، تحقيق: محمد خير البقاعي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1411هـ).

26 . د. طاهر سليمان حمودة: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1(1410 هـ - 1989م).

27 . عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية: الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط3(1409هـ ـ 1988).

28 . عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2(1982م).

29 . عبد الرحمن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، ت 577هـ): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن، ط3 (1405 هـ ـ 1985م).

30 ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، ت 703 هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه وعلق عليه :الدكتور إحسان عباس، الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1(2012م).

31 . العَكري (عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، ت 108هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب المؤلف، حققه :محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه :عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط1 (1406 هـ ـ 1986م).

32 . عمر كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى . دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

33 . الغزي (شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، ت 1167هـ): ديوان الإسلام، تحقيق :سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1411هـ . 1990م).

34 . الغزي (نجم الدين محمد بن محمد الغزي، ت 1061هـ): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1418هـ .1997م)

35 . الفيروزأبادى (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادى، ت 817هـ): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1(1421هـ2000م).

36 . القِنَّوجي (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، ت 1307هـ): أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط1 (1423هـ- 2002م).

37 . القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، ت 646هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي . القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية . بيروت، ط1(1406 هـ . 1982م).

38 . ابن قُطلُوبغا (أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي، ب 879هـ): تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط1(1413هـ - 1992م).

39 . ابن مالك (محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، ت 672هـ): إكمال الإعلام بتثليث الكلام، تحقيق سعد الغامدي، مكتبة المدني، ط1(1404هـ - 1984م)

40 . ـــــ: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي (1967).

41 . ـــــ: شرح الكافية الشافية، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط1(1402هـ/ 1982م).

42 . المحبي (محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل الدمشقي، ت 1111هـ): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت.

43 . د. مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار المعارف، القاهرة، ط2(1968م).

44 . أبو الوفاء القرشي (محي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله القرشي، الحنفي، ت. 775هـ): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط2(1423هـ - 1993م).

45 . هند إبراهيم ناجي: (شَرْح عُمدَة الحَافظ وَعُدّة اللافظ) لجَمَالِ الدِّينِ مُحمَّدِ بنِ مالك النحويّ، دراسة وتحليل، متطلب ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية التربية في جامعة ديالى/ العراق (رجب 1426هـ - آب 2005م).

46 . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل، الكويت (1404.1427هـ).

47 . اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (1413هـ - 1993م).

48 . ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت626هـ): معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق :إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1(1414هـ - 1993م).

فهرس المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
	توطـــــئة	4
1	الأخفش.....	9
2	أبو الأسود الدؤَلِي.....	12
3	الأشموني.....	15
4	الأصمعي.....	18
5	ابن الأنباري.....	22
6	البطليوسي.....	26
7	البغدادي	28
8	التبريزي	31
9	الثعالبي	34
10	الجرجاني	38
11	ابن جني	47
12	الجوهــري.....	50
13	ابن الحاجب.....	52
14	ابن خالويه.....	55
15	ابن خروف.....	58
16	ابن الخشاب.....	62
17	ابن درستويه.....	65
18	الدماميني.....	68

19	ابن الدهان.....	71
20	الرضي.....	75
21	الرماني.....	78
22	الزبيدي	81
23	الزجاج	85
24	الزمخشري	88
25	السجستاني	99
26	ابن السكيت	102
27	السهيلي.....	105
28	سيبويه	108
29	ابن سيده	111
30	السيرافي.....	114
31	السيوطي.....	118
32	ابن الشجري.....	128
33	الشلوبيني.....	131
34	الصاحب بن عباد	134
35	الصبان.....	137
36	ابن عصفور.....	140
37	العكبري.....	143
38	أبو علي الفارسي.....	147
39	أبو علي القالي.....	150
40	ابن فارس.....	145
41	الفراهيدي	156

42	الفيروزأبادي.....	160
43	ابن قتيبة.....	162
44	ابن القرطبي.....	166
45	ابن القطاع	170
46	قطرب	172
47	ابن القوطية	175
48	الكسائي	178
49	المالقي	190
50	ابن مالك	193
51	المبرد	200
52	المرادي	204
53	ابن مضاء	207
54	ابن معطٍ	210
55	ملك النحاة	213
56	نصر بن عاصم	216
57	نفطوية	218
58	ابن هشام	221
59	الواحدي	225
60	الوجيه	228
61	ابن يعيش	230
	المصادر والمراجع.....	235
	الفهرس.....	248

إصدار
المركز الديمقراطي العربي للدراسات
الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية
برلين – ألمانيا

إنّ الآراء والأفكار التي يحملها المؤلف لا تحمِل بالضّرورة وجهة نظر المركز الديمقراطي العربي فمؤلف الكتاب يتحمل مسؤوليةَ مضامينه.

الطبعة الأولى
2019